من داخل السجن ٧

على ضفاف الحسين عليه السلام

الأستاذ محمد سرحان

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: على ضفاف الحسين

تأليف: الأستاذ محمد سرحان

إعداد ونشر: دار الوفاء للثقافة والإعلام

الطبعة الأولى: أغسطس ٢٠٢١م - محرم ١٤٤٣هـ

البريد الالكتروني: Mediaalwafa@gmail.com

دار الوفاء للثقافة والإعلام - البحرين

٠٠٩٨٩٣٣١٠٧٢٤١٢

daralwaffa

الموقع الرسمي

الفهرس

مقدمة الناشر ٧
الخطوة الأولى ٩
ولادة الشهادة ١٠
إن شانئك هو الأبتر ١٢
النبي ﷺ يؤصل الانتماء للحسين ١٤
نشأة الحسين في كنف جده ﷺ ١٨
وفاة الرسول ﷺ «لقد أُصبنا فيك يا حبيب الله» ٢٣
مرحلة البناء الروحي والبدني ٢٧
العلاقة الوثيقة بين الحسن والحسين ٢٩
يكون الحسين حيث يجب أن يكون ٣١
عبادة الحسين ٣٣
علم الحسين ٣٤
الحسين والحج السياسي العبادي ٣٦
إشارة ٣٧
الحسين والمجتمع ٣٩
الخطاب التربوي للحسين ٤١

الحسين في دولة أمير المؤمنين عليه السلام ٤٣
في ظل الإمام الحسن ٤٥
أهم الظروف السياسية والاجتماعية التي أحاطت بصلح الحسن عليه السلام ٤٧
إرهاصات الثورة ٥٣
كلا ليزيد ٥٤
شجاعة وهيبة الحسين ٥٦
زيارة الوداع ٥٨
الهجرة الحسينية الشريفة ٥٩
في الطريق إلى مكة ٦١
في مكة التحشيد للثورة ٦٢
إشارة ٦٥
الممثل الشخصي للولي مسلم بن عقيل ٦٦
عوامل التحول في موقف أهل الكوفة من الثورة ٦٨
إجراءات الدولة الظالمة للقضاء على الثورة ٧١
مسلم بن عقيل والعمل السري ثم الشهادة ٧٣
حج الحسين «البوصلة تشير إلى مكان آخر» ٧٤
خروج الحسين من مكة يوم عرفة ٩ ذي الحجة ٧٩
خط سير ركب الحسين من مكة للكوفة ٨٢
نزوله عليه السلام إلى كربلاء ٩٠
المفاوضات الأخيرة ٩١
هيهات منا الذلة ٩٢
رحلة العشق الإلهي ٩٤

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

أفضل الصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

من يسير في خط الحسين لا بد له أن يتأمل ويتفكر في هذا الخط المليء بالعوائق والصعوبات، الخط الذي وضعه الإمام الحسين منذ سنة ٦١ هـ وإلى يومنا هذا.

مؤلف الكتاب الأستاذ محمد سرحان فرج الله عنه من سكنة منطقة النويدرات، تم اعتقاله في سنة ٢٠١٣م وهو موجود في السجن إلى يومنا هذا، هو شخص سائر على طريق ذات الشوكة، متحملًا الأذى والتعذيب، متأسيًا بالحسين عليه السلام، قد كتب حول الإمام الحسين وهو في داخل السجن.

دار الوفاء للثقافة والإعلام جعل على عاتقه العمل على آثار المعتقلين فرج الله عنهم، من أجل أن يرى العالم مواقف وأفكار أبناء الحسين من داخل قعر السجون الخليفية، فمنهم نستلهم

الصبر والصمود، ولنا الفخر بأن نقوم بهذا العمل، سائلين المولى عزوجل الفرج عن جميع المعتقلين والنصر المؤزر للشعب البحريني.

والحمدلله رب العالمين

دار الوفاء للثقافة والإعلام

الخطوة الأولى

عند الحديث عن الحسين عليه السلام يتبادر إلى ذهننا الحديث عن الثورة والتضحية والشهادة! وكأنهما شيئان متلازمان، ولعل وهج الحركة الإلهية لثورة الحسين عليه السلام غطّى على بقية مراحل سيرته الشريفة، بحيث لا نعرف إلا حسين كربلاء، ولو أمعنّا النظر جيدًا لوجدنا أن كل مراحل حياة الحسين عليه السلام لعبت دورًا في تشكيل الصورة النهائية للحسين الإمام الثائر، وأن هناك أهدافًا ومنطلقًا لهذا الإمام تندرج ضمن أهداف الأئمة عليهم السلام في مسيرتهم التكاملية، بحيث أن هدف الأئمة كان واحدًا ولكن تعددت أدوارهم بحسب الظرف الزماني والمهمة التي كان يجب أن يقوم بها هذا الإمام دون غيره من الأئمة، فلو جاء الحسين في مرحلة الإمام الصادق عليه السلام مثلاً لوجدت الشخصية العلمية هي البارزة والظاهرة، وكذا العكس لرأيت الإمام الصادق عليه السلام لو صار في زمن الحسين لبرزت شخصيته الثورية الناهضة بالسيف وهكذا.

وبما أننا بصدد الحديث عن سيرة الإمام الحسين عليه السلام سنستعرض حياته الشريفة ومواقفه مع شيء من التحليل الذي يسلط الضوء على البناء الروحي والفكري لشخصية الحسين خصوصًا في البعد الثوري، وسنحاول القيام بإسقاطات على واقعنا الإسلامي وضرورة الاقتداء بما فعله وبما قاله الحسين عليه السلام.

فقيمة دراسة السيرة هو استخلاص العبر والامتثال بما ورد فيها من توجيهات ومواقف وتجسيدها وإلا انتفى الغرض من دراسة السير، وأصبحت حكاية للتسلية ومضيعة للوقت إذا لم نأخذ الفائدة ونستخلص العبرة منها، ويتطلب هذا منا فحص سيرة مولانا الإمام الحسين عليه السلام ما دمنا في معرض تناولها، ومطالعة وتحسس تلك اللّفتات المعصومة التي تمثل لنا نهجًا وسلوكًا عمليًا للقدوة الحسنة الذي يضيء لنا الطريق، فهم الهداة المهديين وقادة الأمم وأولياء النعم وعناصر الأبرار ودعائم الأخيار وساسة العباد.

ولادة الشهادة

كان الزواج المقدس بين مولانا أمير المؤمنين عليه السلام والسيدة الزهراء عليها السلام ضمن التخطيط الإلهي والتدبير الرباني في المسيرة التكوينية لهذا الوجود، فكلما جاء أحدهم لخطبة فاطمة كان رسول

الله ﷺ يرده قائلاً ﷺ: «إن أمر فاطمة بيد الله» فهي معقودة لعلي في عالم الملكوت حتى نزل جبرائيل على رسول الله ﷺ وقال له: «زوّج النور بالنور»[1]، فماذا سينتج إذا التقى النورين سوى النور؟!

ففي السنة الأولى من الهجرة النبوية الشريفة في أجواء البيت النبوي المشبّع بعبق الوحي ومهبط الملائكة تزوّج عليٌّ من فاطمة، فكانت الثمرة الأولى لزواجهما ولادة الابن البكر مولانا الحسن المجتبى عليه السلام في ١٥ رمضان من سنة ٢ هـ. ولم تنقضِ سنة وفي السنة ٣ هـ وفي شهر شعبان، وفي اليوم الثالث منه يولد نور شمس الحسين فتكتمل عدة أنوار الخمسة المطهرين هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها. كان حدثًا استثنائيًا ولادة الحسنين، ليس ذلك على المستوى الشخصي للنبي ﷺ أو لعليٍّ وفاطمة عليهما السلام، وإنما استثنائيًا للوجود كله. إن بزوغ تلك الأنوار يعني امتداد النبوة والرسالة ممتدة في تلك الأشباح الطاهرة التي أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيرًا وستبقى حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

لكن هناك إشارة استثنائية رافقت ولادة الإمام الحسين عليه السلام كان لها رمزية خاصة، فعندما يولد الطفل تجد أهل بيته في أجواء من السعادة والفرح تغمرهم وهكذا كان الحسين في

١- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، جزء ٤٣، صفحة ١٠٩

ولادته إلا أنه عندما استلمه رسول الله ﷺ احتضنه وبكى أولاً! وقال رسول الله ﷺ لفاطمة ما سيجري على الحسين وكيفية استشهاده، فكان أول مأتم يُنصب للحسين قبل شهادته، ويستوحى منها أن هناك ضرورة لبث الظلامة وإعلان أهميتها واستمراريتها، فهذا الرسول ﷺ يندب الحسين قبل الحادثة فما هو الأمر بعد وقوعها، إنه يتطلب ثورة شاملة تعيد هوية هذه الأمة التي حاول البعض تحريفها، فكانت الانطلاقة من رسول الله ﷺ، والحسين يمثل الاستمرارية، وهذا ما سنراه عند استعراض منطلقات وأهداف الثورة الحسينية، لذلك قيل: «الإسلام محمدي الوجود، حسيني البقاء».

إن شانئك هو الأبتر

كان يوصف الرسول ﷺ من قبل المشركين بالأبتر -أي الذي لا عقب له- عندما توفي ولده القاسم وهو صغير ولم يكن لديه من الذكور سواه، فكان المشركون يلزمون النبي ﷺ بهذا الوصف، لكن لما أعطى الله سبحانه رسول الله ﷺ فاطمة كتب أن يكون نسله ﷺ منها، فهل يصدق على الأحفاد من نسل الابنة بالأولاد؟ أي هل يصح أن نقول الحسن والحسين عليهما السلام أبناء رسول الله؟

لقد ثبت بالدليل القطعي صحة نسبة الذرية إلى رسول

الله ﷺ من ابنته فاطمة من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة.

١. آية المباهلة

﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[١]، ثبت من الروايات المتواترة أن هذه الآية نزلت لمّا باهل رسول الله ﷺ نصارى نجران، ففي الرواية: «فلما أصبحوا جاؤوا إلى رسول الله ﷺ ومعه أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، فقال النصارى: من هؤلاء؟ فقيل لهم: هذا ابن عمه ووصيه علي بن أبي طالب، وهذه بنته فاطمة، وهذان ابناه الحسن والحسين عليهما السلام، فعرفوا وقالوا لرسول الله ﷺ: نعطيك الرضى فاعفنا من المباهلة، فصالحهم رسول الله ﷺ على الجزية وانصرفوا»[٢].

٢. عيسى بن مريم من ذرية إبراهيم عليه السلام

كما تحكي لنا الآيات ٨٤-٨٥ من سورة الأنعام ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ

١- آل عمران: ٦١

٢- تفسير القمي، علي ابن إبراهيم القمي، جزء ١، صفحة ١٠٤

مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[1] لقد نسب الله سبحانه عيسى بن مريم إلى إبراهيم عليه السلام من أمه فهو لا أب له، وكذا في الرواية احتج بها الأئمة عليهم السلام في قولهم: «وكذلك ألحقنا بذراري النبي صلى الله عليه وآله من قبل أمّنا فاطمة عليها السلام»[2].

٣. **الروايات المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وآله في وصف الحسنين بابنيه**

وهي من الكثرة مما لا لبس فيه في وصف النبي لهما ونسبة الأمة كذلك لهما بأبناء رسول الله مثل قوله صلى الله عليه وآله: «ابناي هذان ريحانتي من هذه الدنيا»[3] وغيرها.

٤. **كلام أمير المؤمنين عليه السلام في وصفهما بأبناء رسول الله صلى الله عليه وآله**

بل كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول بأنهما لم يخاطباه بكلمة «أبتاه» إلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله إجلالاً وكرامة لوجوده المقدس وأدبها في خصوصية رسول الله بهذه الصفة.

النبي صلى الله عليه وآله يؤصل الانتماء للحسين

لقد عمل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله على تعزيز علاقة الأمة بأهل

١- الأنعام: ٨٤-٨٥

٢- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، جزء ٤٨، صفحة ١٢٨

٣- نفس المصدر، جزء ٤٣، صفحة ٢٥٧

بيته عليهم السلام وبيان مقامهم وأعظم فضيلة أن يكونوا مستودع الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأن يكونوا عدل القرآن ما إن تتمسك بهما لن تضل الأمة أبدًا، وكانوا هم السبيل إلى الله الذين طهرهم تطهيرًا، والحسين عليه السلام مشمول في هذه الفضائل الخاصة بأهل البيت عليهم السلام، وأن خلق هذه الرابطة العميقة معهم أصبح ضرورة عقائدية لا يكتمل إيمان المرء إلا بها، ويظل امتداد الرسالة فيهم عليهم السلام وأصبح حبهم ومودتهم واتباعهم فريضة على كل مؤمن مؤطرة في فريضة «الولاية».

وكان الحسين عليه السلام حائزًا على هذا الاستحقاق ولكنه أضاف عليه مؤهل آخر، وهو «الشهادة» مما أكسب الحسين خصوصية جُمعت إلى بقية فضائله ومقامه كما قال النبي صلى الله عليه وآله: «إن لك في الجنة درجات لا تنالها إلا بالشهادة»[1]. والمقصود هنا بالشهادة الخاصة في كيفيتها وفي منطلقاتها وفي غاياتها. لذا تجد للحسين عليه السلام خصوصية على بقية الأئمة، حينًا يتشارك مع أخيه مولانا الحسن عليه السلام فيها، وتارة ينفرد ببعض تلك الفضائل، لا لأنه أفضل -فكلهم في الفضل سواء- إلا أن له خصوصية مرتبطة بطبيعة المهمة والدور المرتبط بمرحلته عليه السلام. فما دام سيقوم بدور ومهمة استثنائية فكذا ستكون له خصوصية في

١- الأمالي، الشيخ الصدوق، صفحة ٢١٧

بعض الفضائل وقد أكد عليها رسول الله ﷺ في كل حين تأصيلًا لذلك الدور وصاحبه ومهمته المقدسة.

«حسينٌ مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينًا»[1] فالحسين يمثل الامتداد الطبيعي للمهمة الإلهية التي انطلق بها رسول الله ﷺ في دعوته، وأن الحسين في كل وجوده هو جزء امتزج بالدعوة وكل الحسين في فعله وقوله هوقول وفعل الرسول ﷺ وتأكيدًا له وما أعظمه من شرف أن يقول الرسول ﷺ: «وأنا من حسين» وهوواضح من خلال الرابطة النسبية فالمرء يحفظ من وُلده وكذا واضح في حفظ الحسين للإسلام فقد حفظ أهداف النبي ﷺ. وهنا تأكيد النبي ﷺ بأن كل ما سيقوم به الحسين هوعين فعل رسول الله ﷺ واستمرارية لمنهجه.

«ألا وإن الحسين باب من أبواب الجنة، من عانده حرم الله عليه ريح الجنة»[2]. إن للجنة شروطها لتكون استحقاقًا لكل موفٍ بالشروط، وأن أحد مداخل الجنة التي لا ينفذها إلا من تحققت فيه الشروط، ومن شروطها موالاة الحسين ومعاداة أعدائه، فضلاً عن معاداته عليه السلام الذي يستوجب النار، وهنا يظهر أصحاب الصراط المستقيم حين يتمثّلون قولاً وفعلاً في «سلمٌ

١- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، جزء ٤٣، صفحة ٢٧١

٢- نفس المصدر، جزء ٣٥، صفحة ٤٠٥

لمن سالمكم وحربٌ لمن حاربكم».

«الحسين مصباح هدى وسفينة نجاة»[1]، أن يكون المصباح مصدر النور ومظهر للحقائق ودليل إلى الطريق. لا يختلف ذلك عن طبيعة دور الحسين عليه السلام لكونه كاشف الحقائق يهدي للسبيل من أراد، فمن تنكب عن سفينة الحسين ضل السبيل. وهو السفينة المنجية، فكما تركب السفينة في البحر المتلاطم لتكون وسيلة النجاة والاستنقاذ من الضياع والغرق، فكذا الحسين في فترة الضلال والبغي الانحياز نحوه منجاة، وأدركوا سفينته الكبرى -حسب وصف المعصوم عليه السلام- بقوله: «كلنا سفن النجاة ولكن سفينة جدي الحسين أوسع وفي لجج البحار أسرع»[2] دلالة على عظمة المكانة ووضوح الأمر في شأن الحسين عليه السلام بحيث يكون معيارًا للتفريق بين الحق والباطل، والصعود على متن سفينته فوز ونجاة من الغرق.

هذه بعض الإشارات الواردة في حق الحسين وخصوصيته، وهناك نوع آخر من الخصوصية المشتركة مع أخيه الحسن عليه السلام توضّح لنا الشراكة الكبيرة والمتكاملة بينهما في وحدة المنطلق والأهداف وهما متلازمان، وأن التباين في الأدوار إنما جاء

١- عيون أخبار الرضا، الجزء الأول، صفحة ٦٢

٢- نفس المصدر، جزء ٢٦، صفحة ٣٢٢

لضرورات المرحلة كما سيأتي لا لاختلاف النهج، ومن هنا يؤكد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في مواقف معدودة على هذه الضرورة بقوله صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين إمامان إن قاما و إن قعدا»[1]، وغيرها كقوله: «الحسن والحسين سبطا هذه الأمة»[2] و«الولد ريحانة، والحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا»[3] و«الحسن والحسين يغران العلم غرًّا»[4] و«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[5]. إن هذا التأكيد على الملازمة بينهما وخصوصًا من قبل النبي صلى الله عليه وآله دلالة على الوحدة والتكامل بين الحسنين عليهما السلام في المنطلقات والغايات وهما وجهان لحقيقة واحدة.

نشأة الحسين في كنف جده صلى الله عليه وآله

استلم رسول الله الجد والأب الحنون مهمة العناية بالحسنين منذ ولادتهما، ومن جهتهما كان أمير المؤمنين والسيدة الزهراء يهيئان المهمة الإلهية لهذين الابنين مستقبلًا ولم تكن حاضنة لتنشئتهم روحيًا ومعنويًا فكريًا أعظم وأفضل من لسان الوحي،

١- نفس المصدر، جزء ٤٤، صفحة ٢

٢- نفس المصدر، جزء ٣٦، صفحة ٣١٢

٣- نفس المصدر، جزء ٤٣، صفحة ٢١٨

٤- حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ باقر شريف القرشي، جزء ١، صفحة ٣١٥

٥- سنن الترمذي، جزء ٥، صفحة ٤٢٦

فرسول الله صاحب الأدب الرباني والخلق العظيم فضلًا عن كونه النبي الخاتم وخير خلق الله، كما قال ﷺ عن نفسه «أدبني ربي فأحسن تأديبي»[1].

يمكننا القول بأن رسول الله ﷺ تكفل بتربية الحسين وتعهده عند ولادته في السنة الثالثة للهجرة وحتى وفاته ﷺ سنة ١١ هـ، أي حتى بلغ الحسين ثماني سنوات ونصف. عاش في كنف جده «يغرُّ العلم غرًّا» ويتغذى روحيًا وأخلاقيًا وعقائديًا، حتى الغاية باختيار الاسم كانت تسمية الرسول ﷺ له ولأخيه الحسن حصريًا، وذلك من قول أمير المؤمنين عليه السلام لما أُتي بهم بعد ولادتهم ليسميهم فقال عليه السلام: «ما كنت لأسميهم قبل رسول الله ﷺ» وقد شملتهم رعاية النبي ﷺ في كل حين حتى وهو في المسجد وعلى المنبر كان أحيانًا يرتقي المنبر وبجواره الحسنين، بل كان ﷺ إذا خطب بالمسجد ودخل أحد الحسنين عليه كان ينزل من منبره ويحملهما معه. كل ذلك لبيان عظم شأنهما ومدى حب رسول الله لهما. هذه العلاقة المتينة غير المقتصرة على البعد العاطفي فقط لكونه جدهما، بل لأهمية تكوينية ومهمة تاريخية سيطلعان بها. ولو تتبعنا سيرتهما عليهما السلام في عهد رسول الله سنجد الملازمة بينهما

١- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، جزء ١، صفحة ٨٥

في المواقف والأحداث، وهذا دلالة العلاقة الوثيقة بينهما التي تنم عن شخصية متحدة في النسب والتربية والسلوك الخارجي. ومن أمثلة على تلك المواقف:

- تعليمهم للرجل كيفية الوضوء: في إحدى المرات مرّ الحسنان على رجل يتوضأ ولم يكن يحسن الوضوء، فأرادا تعليمه دون إحراجه، فوقفا جانبًا وخاطباه، فقال الحسن عليه السلام: يا شيخ اختلفت وأخي الحسين على أيّنا وضوءه أفضل ونريدك أن تكون حكمًا بيننا، فتوضأ الحسين عليه السلام الوضوء الصحيح وتوضأ الحسن عليه السلام كذلك الوضوء الصحيح فلما التفت الرجل للأمر فطن ما أراده هذان الطفلان، فاحتضنهما وشكر موقفهم منه بهذه الطريقة الذكية.

- نزول الرسول صلى الله عليه وآله عن منبره: عندما دخل الحسنان المسجد، كبا الحسين عليه السلام فنهض النبي صلى الله عليه وآله من منبره وجاء لهما وقبّلهما، وقال أمام المسلمين: «اللهم اشهد أني أحبهما، فأحب من يحبهما»[1]، بهذه الدعوة الشخصية من النبي صلى الله عليه وآله للمسلمين بإظهار حبه للحسنين إنما يدل على أهمية هذه الشخصيات، بل

١- سنن الترمذي، جزء ٥، صفحة ٦١٤

ومحوريتهم في حياتهم، والكلمات العظيمة التي قال رسول الله ﷺ فيهم خير شاهد على ذلك، وكان تأكيد النبي ﷺ على مودة الحسين والارتباط به ليس نابعًا من الحالة النفسية والميل القلبي فقط بينهما، بل يعود كما أسلفنا إلى بيان أهمية أهل البيت والحسين عليهم السلام في هذه الأمة وضرورة الارتباط بهم، كما في الحديث عنه ﷺ: «والذي بعثني بالحق نبيًا إن الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الأرض، وإنه مكتوب عن يمين عرش الله، الحسين مصباح هدى وسفينة نجاة»[1].

- ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[2]: مرض الحسن والحسين فعادهما جدهما رسول الله ﷺ ورجاهُ العرب، فقيل: يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك نذرًا، فنذر صوم ثلاثة أيام إن شفاهما الله سبحانه، ونذرت معه فاطمة عليها السلام وكذلك فضة، فبرئا من المرض، ولم يكن عندهم شيء، فاستقرض علي عليه السلام ثلاثة صاعات من الشعير، وجاء بها إلى فاطمة، فطحنت صاعًا وصنعت به خبزًا، ولما صلى

١- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، جزء ٩١، صفحة ١٨٤

٢- الإنسان: ٨

علي المغرب، وضعت فاطمة عليها السلام الفطور؛ لأنهم كانوا صائمين بمن فيهم الحسن والحسين عليهما السلام، فجاءهم مسكين وسألهم الإطعام، فأعطوه ولم يذوقوا إلا الماء، وكذا في اليوم الثاني جاءهم يتيم ففعلوا نفس الفعل ولم يذوقوا إلا الماء، وكذا في اليوم الثالث فجاءهم أسير بالباب ففعلوا نفس الفعل، فلما جاء اليوم الرابع وقد قضوا نذورهم وبانت آثار التعب على الحسن والحسين وكانا طفلين فرقّ قلب رسول الله لحالهم، فنزلت سورة الإنسان في حق أهل البيت عليهم السلام. آية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]: والحسين مشمول بالآية مباشرة مع أمه فاطمة وأبيه وعلي وأخيه الحسن، وقد ورد في الأحاديث المستفيضة لدى كل المسلمين أن هذه الآية نزلت في خصوص هؤلاء الخمسة، وفي إحدى الروايات عند الفريقين، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يمر على منزل فاطمة أربعين صباحًا وهو يقول الصلاة الصلاة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

١- الأحزاب: ٣٣

وفاة الرسول ﷺ «لقد أُصبنا فيك يا حبيب الله»

طوال الوجود الشريف للنبي الأكرم، عاش الحسين مرحلة الطفولة يشم رحيق الوحي ويغذى العلم، ويعيش الأمن في كنف جده وعزّ الإسلام الظاهر، وزهو تلك الأيام المجيدة في ظل انتصارات الإسلام وسلطانه الذي أظهره على الدين كله ولو كره المشركون، حيث جيش الإسلام يرجع من غزو الأعداء وهو ينتظر جده وأباه وشمائل النصر بادية تبرز عزة الإسلام في الجهاد وقتال أهل الباطل.

بوفاة رسول الله ﷺ فقد الحسين عليه السلام ذلك الحضن الدافئ والقلب الرؤوف واليد الحانية وذلك الوجود القدسي الطاهر. في ذلك اليوم المؤلم يرتمي الحسين على جسد جده باكيًا منتحبًا، مناديًا «يا أبتاه يا رسول الله»، بفقد النبي ﷺ بدأت الرزايا والمصائب تترى على أهل البيت وتظافرت الأمة على هضم حقهم، وقد شهد الحسين تلك الابتلاءات والمصائب وكان على رأسها:

أ. **غصب الخلافة:** لقد رأى الحسين كيف انقلبت الأمة بعد رسول الله على الولي بالحق أمير المؤمنين، وعاش أجواء التحولات السياسية والفكرية لدى الأمة ونكرانها للولاية الإلهية والوصية الربانية عبر انتهاك أحد أدوار

الإمامة وهو استلام السلطة بعد رسول الله ﷺ وإقامة الحكومة الإسلامية، لذا تمركز هدف الأئمة عليهم السلام حول إعادة إقامة الحكومة الإسلامية بعد وفاة النبي ﷺ وإن تعددت الوسائل والطرق للوصول للهدف الأساسي إلا أن هذا كان نصب أعينهم، فشهد الحسين أول احتجاج على الانقلاب السياسي عبر الاعتصام في بيت الزهراء والامتناع عن بيعة أبي بكر والذي رافقه لاحقًا اقتحام المنزل من قبل السلطة وفض الاعتصام والاعتداء على الموجودين ولم يستثنوا النساء وخصوصًا الزهراء عليها السلام حيث جرى عليها ما جرى.

ب. **استهداف الزهراء عليها السلام وسلب حقوقها:** كان أحد أهداف الحكومة الانقلابية تجريد المعارضة العلوية من عناصر القوة لديها، والذهاب بعيدًا في التعدي والقهر كي تقمع أي حركة معارضة في مهدها، فلم يضعوا اعتبارات ولا خطوط حمراء حتى لمقام السيدة فاطمة عندما انحازت لحق أمير المؤمنين وصدعت بموقفها، وكان ضمن تلك التجاوزات الخطيرة الهدم أو الحرق لبيت فاطمة إذا لم يبايع المعتصمون بداخله الخليفة الانقلابي، وقد صرَّح أحدهم محذرًا «إن في البيت فاطمة» حيث استوقفه خطورة هذه الخطوة إلا أن

جسارة الخليفة الثاني جعلته يقول «وإن»[1]!! فلا أحد ينكر مقامها في الأمة!! فهل هناك من ينكر فضل سيدي شباب أهل الجنة من هذه الأمة! ثم جرى ما جرى من أحداث الاقتحام من ضرب وعصر وإجهاض، ثم أخذ أمير المؤمنين ملببًا بحبائل سيفه مجبرًا ليبايع سلطة الأمر الواقع، ومن إجراءات السلطة تجريد الزهراء عليها السلام من حقوقها المالية والاعتبارية، حيث غصب تركتها من رسول الله وهي الوارث الوحيد لنبي من الأنبياء!! أي النصيب الأكبر على الإطلاق، فحتى زوجات النبي يتشاركن في مجموعهن في الثمن فقط، وأما الزهراء فتعتبر الوارث الوحيد لما ترك الرسول صلى الله عليه وآله بلحاظ أن نساء النبي لم ينجبن أولادًا منه، فضلاً عن كون «فدك والعوالي» كانت نحلة من رسول الله صلى الله عليه وآله للزهراء إلا أن السلطة البكرية تجاوزت كل تلك الاعتبارات وقبضت على تلك الأملاك الفاطمية كي لا تكون مصدر قوة اقتصادية وقاعدة للمعارضة مستقبلاً «السلام عليكِ أيتها المظلومة المغصوبة، السلام عليك أيتها المضطهدة المقهورة».

١- كتاب السقيفة والخلافة، شيخ محمد رضا المظفر، صفحة ١٤

ج. **مع أمه للمطالبة بالحقوق:** تخرج الزهراء عليها السلام ومعها الحسنان عليهما السلام تدور على بيوتات المدينة، تستنهض الأمة للثورة، وتذكيرها بالحقوق والواجبات، مطالبة بحقوق الولاية من السلطة الغاشمة، حيث ينقل لنا التاريخ خروجها عليها السلام مع الحسن والحسين لأربعين يومًا تلف بيوتات المدينة مذكرة الأمة بحقهم عليهم، وشهد الحسين مباشرة الخطبة العظيمة لأمه في المسجد النبوي والتي وضعت في ذلك الخطاب أهم الأسس العقائدية والفكرية للمعارضة المشروعة، وكان يرافقها الحسن والحسين كما في الرواية «خرجت فاطمة ومعها جمعٌ من بنيها ولمة من حفدتها تمشي مشية رسول الله متوجهة للمسجد، فدخلت فوضعت دونها ملاءة فخطبت في المسلمين ... إلى آخر الرواية والخطبة الشريفة».

د. **الحسين الطفل المعارض:** لقد سجّل الحسين عليه السلام مواقفه المعارضة للظلم منذ صغر سنه وثار مشاركًا مع والديه في محنة انقلاب الأمة، كما كان له عليه السلام مواقفه المنفردة رغم صغر سنه، ففي إحدى المرات دخل مسجد النبي صلى الله عليه وآله وكان عمر يخطب في الجموع باعتباره الخليفة، فجاء الحسين وسط المسجد ونادى

بأعلى صوته موجّهًا الكلام لعمر: «انزل أيها الكذاب عن منبر أبي رسول الله ﷺ»[1]. أراد إيصال رسالة مفادها أن هذا الموقع ليس لك وأنك تبوأت منصبًا ومقامًا هو حق أصيل لغيرك، فجاء الرجل للحسين الطفل حيث وصلت رسالته وفطن مغزاها، فقال له: «من علمك هذا؟ أبوك علي بن أبي طالب؟»[2]

مرحلة البناء الروحي والبدني

لا تتنافى مسألة الأخذ بالأسباب الطبيعية مع الحقيقة التكوينية للكمالات التي يملكها المعصومون، بمعنى إذا قلنا بأن الإمام اكتسب العلم فلا يعني أنّهُ مُعرّض للوقوع في نتائج الجهل والنقص، بحيث لو وقع في موقف يحتاج إلى علم فإن قابلية العصمة تحمل على تحصيل العلم الواقعي المسدَّد من الله سبحانه، وبحسب تعبير الشهيد مطهري: «إن الامتحان للأولياء هو لإظهار كمالاتهم وليس للتأكد من وجودها أولًا». وكذا في مسألة علم الإمام أن قابليته لاستقبال العلم أكبر وأوسع، ويلقمونه تلقيمًا في تعبير المعصوم: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ قَدْ زُقُّوا

١- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، جزء ٣٠، صفحة ٤٧

٢- نفس المصدر

الْعِلْمَ زَقّاً»[1] وفي تعبير أمير المؤمنين عليه السلام: «علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم يفتح كل باب ألف باب»[2]، وهكذا القوانين والسنن الإلهية في الوجود اقتضت الأخذ بالأسباب الطبيعية إضافة للتسديد الإلهي المخصوص بالمعصوم ليحصل على الرعاية الكاملة، كما حصل لنبي الله موسى في التعبير القرآني ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾[3] أي الرعاية الإلهية التي أحاطت بتربية موسى عليه السلام، وكفالته وهو بين يدي فرعون عدو الله.

وهنا الحسين ينشأ في ذلك البيت الطاهر ينهل الهدى والعلم والأخلاق والعبادة. يأتي أحد الحسنين يومًا إلى أمه الزهراء عليها السلام وهي في حال العبادة وهي تدعو في وردها لجيرانها، فلما سألها عليها السلام: «يا أماه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت عليها السلام: يا بني الجار ثم الدار»[4]، وفي يومٍ كان رسول الله يدعو الناس في المسجد كي يواسوا بعضهم ويحث على التصدق، فتسمعه الزهراء عليها السلام فتبعث بحليّها وما تملك في بيتها إلى رسول الله وهو في المسجد، فترسل ما عندها مع الحسين ليوصله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، هذا الموقف يعطي البعد

١- نفس المصدر، جزء ٤٥، صفحة ١٣٧

٢- نفس المصدر، جزء ٢٦، صفحة ٢٩

٣- طه: ٣٩

٤- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، جزء ٤٣، صفحة ٨١

التربوي في أن يعيش الابن حسّ المسؤولية وقيمة العمل الطيب وأهميته، كما يأتي البناء والإعداد الروحي الكبير والمكثف من لدن رسول الله أولاً ثم أمير المؤمنين والزهراء عليهما السلام يرافقه إعداد بدني وجهوزية تنضم للكمالات الأخرى التي يجب أن يتحلى بها المعصوم وتظهر آثار ذلك الإعداد لاحقًا في المراحل الأخرى من حياة الإمام الحسين كيوم وقوف الحسنين عند بيت عثمان أو في حروب أمير المؤمنين وفي كربلاء.

فعندما يقول النبي صلى الله عليه وآله: «علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل»[1] إعدادًا للجهاد كان أولى بها الحسن والحسين. كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «والله ما أمرتكم بطاعة إلاّ وقد ائتمرت بها»[2]، وسنأتي على هذه الشواهد في المراحل اللاحقة من حياة الحسين عليه السلام. كل هذا تهيئة للإمام الحسين لأداء المهمة الإلهية العظيمة التي ستناط به مستقبلاً.

العلاقة الوثيقة بين الحسن والحسين

هناك تركيز وتأكيد على الرابطة الوثيقة بين الحسن والحسين في الخطاب النبوي وفي السلوك العملي لهما عليهما السلام، وليس ذلك عائد فقط للرابطة النسبية وإنما هناك تطابق واسع

١- الكافي، الكليني، جزء ٦، صفحة ٤٧

٢- تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، جزء ٣، صفحة ١٩٥

في الشخصية قولاً وفعلاً ومنهجًا، وحتى لو ظهر تباين في موقف كل واحد منهما من السلطة الأموية في فترة إمامتهما عليهما السلام فذلك راجع لطبيعة المرحلة والظروف الموضوعية المحيطة بهما، فلو كان الحسين في موقع الحسن وحسب تلك الظروف لاتخذ قراره والعكس كذلك، ولكي نستوعب التطابق بين الاثنين لا بد أن نرجع للأصل حيث يؤشر على أن الهدف والغاية واحدة، وكذا المنهج ولكن متطلبات المرحلة تقتضي من كل واحد اتخاذ الموقف الذي يناسب تلك المرحلة.

فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله يؤكد على وحدة الشخصية من خلال الأحاديث في فضلهما ومقامهما واشتراكهما في تلك الأحاديث كأنهما واحد، بل هما واحد في القناعات والرؤية للأمور من دون وجود مورد للتباين سوى في ظاهر الموقف الذي يتطلبه دوره عليه السلام. ويصبح علينا لزامًا الامتثال لقرار الإمام الذي تتطلبه المرحلة، فالنبي صلى الله عليه وآله يقول: «الحسن والحسين إمامان إن قاما و إن قعدا»[1]، فمقام الإمامين واحد في التشابه والاعتبار ولا مجال للتفريق والمفاضلة، لذلك أشار رسول الله صلى الله عليه وآله سواء كان الإمام الحسن أو الحسين في أي وضعية فهما إمامان بالحق، كما تشير الرواية إلى ظرف مستقبلي سيكون فيه كلا الإمامين أحدهما سيصالح والآخر سيثور ويبقى

١- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، جزء ٤٤، صفحة ٢

الميزان أنهما إمامان مفترضا الطاعة ومن خالفهما في ظرفهما سواء بالقيام أو القعود فقد خالف إمام زمانه ووقع في المحذور.

وهكذا يردد النبي أقواله ويكررها في دمج الشخصيتين والإشارة لفضلهما معًا كقوله: «الحسن والحسين سيدي شباب اهل الجنة»[1] وغيرها. وعلى المستوى العملي تجد الموارد التاريخية على مدى وجودهما الشريف معًا وحتى بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام يوصي أبناءه بنصرة الحسين وعمليًا يشارك كل أبناء الحسن في كربلاء ويجاهدون بين يدي عمهم الحسين

يكون الحسين حيث يجب أن يكون ..

إذا كنا نعرف الحسين القائد فهناك الحسين الجندي المخلص المتبع لإمام زمانه المتمثل لأمر الولي والمساند له والذائب في قيادته، فعندما يتطلب الأمر أن يكون مقاتلاً كان، وإن تطلب الأمر السكوت يسكت ويدعو للسكوت بأمر القيادة، وإذا تطلب أمر الولي أن يقف الحسين على باب الظالم يمنع من قتله منعًا لفتنة كبرى فعل دون تردد، كما فعل في زمن عثمان عندما ثارت جموع المسلمين على سياسة عثمان الظالمة، وقام أمير المؤمنين الولي القائد بتشخيص المصلحة العامة منعًا لحدوث كارثة بالعالم الإسلامي بدور المناصح للحاكم

١- نفس المصدر، جزء ٤٣، صفحة ٢٦٣

والوسيط مع الثوار، وأمر الحسن والحسين بالوقوف على باب عثمان كي لا يقتحم الثوار بيت الحاكم وقتله حتى الوصول لحل المشاكل التي اختلقها عثمان وحاشيته، وإن كانت النتيجة قتل عثمان بسبب تعنته واغتراره، حتى أن الجموع الغاضبة اقتحمت بيت عثمان ووطئ الحسنان بحسب تعبير أمير المؤمنين إلا أن الحسين عمل بتكليفه الشرعي وبأمر قائده ومستعد لتحمل كل ما يترتب على أدائه لتكليفه الشرعي، وعندما يأتي زمن أمير المؤمنين في فترة حكمه عليه السلام قاتل بين يدي الإمام الولي القائد في حروبه الثلاث ضد الناكثين والمارقين والقاسطين، وعندما أمر الحسين عليه السلام في فترة إمامته بالنهوض ضد ظلمة الشام كان الحسين أول الواصلين لمعسكر النخيلة احتشادًا ضد معاوية وأتباعه، وعندما صالح الحسن بسبب خذلان الأمة له، كان المطلوب من الحسين بأمر وليّه بالحق أخيه الحسن أن لا يبايع وفي نفس الوقت عليه دعوة المتخلفين عن البيعة أن يمتثلوا لأمر الحسن عليه السلام كقول الحسين لقيس بن سعد الذي امتنع عن البيعة، ولما نظر للحسين عليه السلام باعتباره لم يبايع، طلب منه الحسين الامتثال لأمر القيادة بقوله: «هو إمامي و إمامك»، وسيأتي الحديث عنها أثناء فترة الصلح.

عبادة الحسين

الحسين أحد الأنوار القدسية التي صُبّت في النشأة الدنيوية في قالب تخص الحسين، فنشأ على العبادة في بيت أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه، يسبّح له في ذلك البيت بالغدو والآصال حيث فيه أناس لا تلهيهم تجارة أو لهو عن ذكر الله، ففي أجواء مفعمة بالروحانية والمعنويات والارتباط بالله تجد الحسين بين جده المصطفى وأبيه علي بن أبي طالب عليهما السلام وبين أمه الزهراء عليها السلام التي لم تطأ قدمها أرضًا إلا وكانت لها مسجدًا، فما حال الحسين إذًا في ظل هذه المعطيات؟ لقد عاش الحسين الحب لله بكل وجوده، لذا بذل كل وجوده من أجل ذلك الحب، أليس هو القائل: «تركت الخلق طرًا في هواكَ وأيتمت العيال لكي أراكَ»، فتجده حتى آخر ساعات وجوده الشريف وهو في وسط المعركة مع العدو يذكر الصلاة ويشتاق لها ويصلي بين تلك السيوف والسهام قائلاً: «يشهد الله بأني أحب الصلاة»، وكذا في ليلة العاشر يطلب مهلة تلك الليلة والغرض من ذلك «لنصلي إلى ربنا ركعات». إن الحسين أحد عناوين العبادة الكبرى لله فكان يعيشها في كل فعله وقوله في صلاته وصومه وحجه وفي جهده ودعوته وتعليمه.

ولو نظرنا لدعاء عرفة الوارد عنه عليه السلام سنجد الكم الهائل

من المعارف الإلهية والكمالات المعنوية التي عبر عنها الحسين عليه السلام في الدعاء الجليل الدالة على العلاقة بين الحسين وربه عبرت عنها الألفاظ بعذوبة ووضوح وبيان بديع منقطع النظير، إن الحسين العابد فيه سمات شخصيته المقدسة، ومن دلالات ذلك حتى في الحج وعلى الرغم أن أمير الحج الرسمي يُعيّن من قبل الحكام، إلا أن الناس عندما يحج الحسين كانوا يحجون بحجه فهو أمير الحج الحقيقي، حيث حجّ الحسين خمسة وعشرين مرة.

علم الحسين

بعيدًا عن الاعتبارات الأخرى يشهد جميع المسلمين لأهل البيت بأنهم علماء هذه الأمة، بل هم أصل العلم ومعدنه، وأن معظم المعارف الإسلامية التي وصلتنا اليوم عن طريقهم -حسب تعبير الشيخ المصباح- والحسين أحد منابع العلم التي نهل منها المسلمون والذي عبَّر عنه عبد الله بن عباس بقوله: «الحسين من بيت النبوة وهم ورثة العلم»[1]. وهذا بشهادة أحد علماء الأمة الكبار، وكما في الحديث الشريف في ذكر أحد مقامات الحسن والحسين يقول المعصوم عليه السلام: «كان الحسن

١- حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ باقر شريف القرشي، جزء ١، صفحة ١٣٥

والحسين يغران العلم غرًّا»[1] لذا ينقل لنا رواة التاريخ بأنه عندما تنعقد حلقة درس الحسين في المسجد النبي لا توجد حلقة درس أخرى تنعقد في نفس وقتها، وقال أحدهم: إذا دخلت مسجد رسول الله ورأيت الناس وكأن على رؤوسهم الطير فاعلم أن حلقة الحسين قد انعقدت. وهذا بشهادة معاوية عندما سأله سائل عن المكان الذي يجد فيه الإمام الحسين بالمدينة.

وكانت مرجعية الإمام الحسين الفقهية موضع انتباه كل المسلمين، فحتى المختلفين معه في النهج أو الفكر كانوا يرجعون إليه في مسائل الفقه والأحكام، لكونه المنبع المصون من الزلل، ومحل العلم الجمّ الصافي فهذا عبد الله بن الزبير يستفتي الحسين قائلاً: «يا أبا عبد الله ما تقول في فكاك الأسير على من هو، فأجاب عليه السلام: على القوم الذين أعانهم أو قاتل معهم»[2]، وغيرها من المسائل التي ترد عليه من أقطار العالم الإسلامي، خصوصًا في موسم الحج الذي يحرص الإمام على حضوره فيه لأنها فرصة الالتقاء مع أبناء الأمة لتوجيهها علميًا وفكريًا وتوعيتها بحقوقها السياسية والاجتماعية، فضلاً عن الشحن الروحي وتبليغ الأمة بالإسلام المحمدي الأصيل، وتغذيتهم بالمفاهيم الإلهية، وقد عقد الإمام عدة مؤتمرات

١- نفس المصدر، جزء ١، صفحة ٣١٥

٢- نفس المصدر، جزء ١، صفحة ١٣٦

واجتماعات عامة في الحج سنأتي على ذكرها.

الحسين والحج السياسي العبادي

يقول الإمام الخميني ﷺ: «الإسلام عين السياسة والسياسة عين الإسلام» لا ينفكان، وإن الفصل بينهما كما يفعل العلمانيون هو فصل بين الإسلام والحياة، وباعتبار الحج فريضة عبادية ذات أبعاد اجتماعية، فهي أكثر التصاقًا بالجانب السياسي لذا نجد الحسين كما أسلفنا حريصًا على حضور الموسم بل على مدى إمامته الشريفة اثني عشر عامًا وعشرة أشهر كان المتصدي لإمرة الحج، وكان الناس يحجّون بحج الحسين، فحتى لو عيّن الأمويون أميرًا للحج لا يحج الناس إلا على حج الحسين.

وقد استثمر الحسين عليه السلام هذا الموسم الذي يجتمع فيه المسلمون والذي يتحول إلى تظاهرة ضخمة ومؤتمرًا عامًا للمسلمين وملقى للشعوب، وقد تمثلت صور العطاء الحسيني في الحج في الحوار والدعاء والإجابة على التساؤلات وإلقاء الخطب، ولا نبالغ عندما نقول مؤتمر حيث جمع الإمام الحسين عليه السلام ألفًا من المسلمين ضم بني هاشم والصحابة وأبناءهم وشيعته وكان ذلك قبل هلاك معاوية بسنتين في منى في موسم الحج، وخطب فيهم خطبة حوت معالم المعارف

الإسلامية وأبرزها الجانب السياسي.

إشارة

لذا استوعب أهمية الحج الاجتماعية والسياسية سماحة الإمام الخميني العظيم ﷺ في زماننا مؤكدًا على أهميته في بث الوعي السياسي والثقافي وليس فقط ممارسة طقوس ومناسك مفرغة من المضامين الاجتماعية والتربوية والسياسية، لذلك دعا السيد الإمام الخميني لاستغلال موسم الحج وطرح قضايا الأمة فيها وتعبئة الأمة للتفاعل مع قضاياها، من هنا جاءت دعوة الإمام الخميني سويًا لخروج مسيرة البراءة مع المشركين في الحج وخصوصًا من منطقة «منى» تيمنًا والتزامًا بما فعل المعصوم عليه السلام وأظهره ما قام به الإمام الحسين عليه السلام وفهمًا لما ورد في سورة براءة ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُ﴾[1]. وقد تضمنت خطبة الإمام الحسين عليه السلام في منى واقع بني أمية وشرح الواقع السياسي للأمة وما جاء فيها:

«أما بعد، فإن الطاغية قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم وإني أريد أن أسألكم عن أشياء فإن صدقت فصدقوني وإن كذبت فكذبوني، اسمعوا مقالي واكتبوا قولي ثم

١- التوبة: ٣

ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم من أمنتموني ووثقتم به، فادعوهم إلى ما تعلمون، فإني أخاف أن يندرس هذا الدين الحق، ويذهب والله متمُّ نوره ولو كره الكافرون، فما ترك الحسين شيئًا أنزل الله فيهم من القرآن إلا قاله وفسره ولا شيئًا مما قاله الرسول صلى الله عليه وآله في أبيه وأمه وأهل بيته إلا رواه ثم قال: أنشدكم بالله إلا رجعتم وحدثتم به من تثقون به ثم نزل وتفرق الناس على ذلك»[1].

وهذه الخطبة تلقي الضوء بصورة واضحة على الدور الذي كان يوصّفه الحسين عليه السلام في الحج حيث يخاطب المؤتمرين من المسلمين بشكل واضح ويعلمهم متطلبات المرحلة والموقف السياسي الذي يجب أن يتخذونه.

أما في الجانب العبادي من موسم الحج فالحسين بصماته واضحة في الحج وأثره باقٍ إلى يومنا هذا، ويكفي دعاء عرفة، هذا الدعاء العظيم الوارد عنه عليه السلام والذي يتميز بكم هائل من الأبعاد الروحية واللفتات العرفانية والمعارف الإلهية مسبوكة بلغة رصينة سبكتها يد الغيب على لسان الحسين عليه السلام فضلاً عن ذلك مرجعيته عليه السلام في الأحكام والمناسك وحجه لبيت الله الحرام ٢٥ مرة دلالة على أهمية هذا الركن في الإسلام والتزام الحسين به وحرصه على إقامة شعائره.

١- الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، جزء ٢، صفحة ١٩

الحسين والمجتمع

ساهم الرسول الأكرم ﷺ في إيداع حب الحسين في نفوس أبناء الأمة واعتبر حب الحسين عبادة ومحط رضا الله «أحبَّ الله من أحبَّ حسينًا»[1]، كما مارس الحسين التفاعل الاجتماعي مع محيطه واهتمامه به، فمنذ صغر سنه يتفاعل مع موقف الأسير والمسكين واليتيم كما تحكيه لنا سورة الإنسان، وينطلق من هذه الأجواء التربوية إلى آفاق أوسع في متابعة الأمة وقضاء حوائجها وتلبية نداء التكليف الشرعي لأهل البيت كتعليمه لذلك الرجل الوضوء ثم مشاركة والده أمير المؤمنين في متابعة قضية الثورة على عثمان وبعدها المشاركة في حروب أمير المؤمنين. وكان الإمام الحسين يحرص على التواصل مع القبائل واهتمامه بالمجتمع وأحواله والسؤال عن أقوامهم خصوصًا الشباب، ومثال ذلك لما أتاه يومًا جُعيد الهمداني بادره الإمام بالسؤال: «أخبرني عن شباب العرب»[2] فأخبره، وكان الإمام الحسين يولي اهتمامًا بالشباب وفئة اليافعين لأنهم ركيزة الإسلام البشرية التي ستحفظ الدين إذا حفظناهم وأعطوا الرعاية الكافية، فإذا ضاعوا ضاعت الأمة

١- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، جزء ٤٣، صفحة ٢٧١

٢- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، جزء ١٣، صفحة ٦٣

ومستقبلها؛ لأنهم سيقودون دفة الإسلام يومًا ما. ومنها لما جاوره أناس من أنطاكيا في الشام سألهم عن سيرة أميرهم فيهم وأوضاعهم السياسية والمعيشية.

إذًا الأمة كانت تجد في الحسين الحضن الدافئ والملجأ، وهناك حب خاص متأصل في وجدانها تجاه الحسين امتدَّ على مرّ الزمان، وهو الخط العام في الإسلام ويمثل وجدان الأمة الحقيقي وشعور غالبية المسلمين، وهذا لا ينافي واقع التقصير في الأمة تجاه الحسين وما ترتب عليه في كربلاء.

ويمكن إضافة شيء في علاقة الحسين بالمجتمع هو رحلاته للحج تلك الفريضة الاجتماعية والتي مكّنت الحسين من التواصل مع شرائح واسعة من المجتمع، فحتى لمّا أراد النهوض بثورته المباركة كانت الانطلاقة من مكة، وهو موسم الحج، مكان المنبر الإعلامي واللقاء العام؛ ليطرح الحسين رؤاه للأمة وتشخيص واقعها، وتبرز تلك العلاقة بين الأمة والحسين في ذلك الموسم من كل عام، حيث نلمس ذلك في رواية بشر وبشير ابني غالب الأسديين الذين رووا لنا دعاء عرفة الجانب العاطفي والروحي عندما يأتي الحسين لعرفة ويجتمع الناس حوله يحجون بحجه ويبتهلون الله بابتهاله ويبكون لبكائه خشية من الله وتضرعًا.

لقد أسس الحسين منظومة متكاملة من العلاقة الروحية بينه وبين الأمة لها أبعاد عقائدية وعبادية وسياسية وتربوية، وأكرر هنا بأن خذلان الأمة وتقصيرها مع الحسين في ساعة العسرة لا يعني عدم وجود تلك الرابطة. وشاهد ذلك ثورة التوابين بعد استشهاد الحسين عليه السلام الدامي مثّل صعقة لوجدان الأمة وضميرها، وهي إحدى ثورات العشق بعد تقصيرهم في تلبية نداء الحسين، وعمومًا من يعصي الله سبحانه وتعالى لا يعني أنه لا يحب الله جل وعلا ولكن غلبة الاعتبارات الأخرى والغفلة عن الحق تجعل الكثير ينحازون لخيارات صنم النفس، لذا قالها الحسين عليه السلام صرخة ليوقظ ضمير الأمة: «الناس عبيد الدنيا والدين لعقٌ على ألسنتهم، يدورونه ما درّت معايشهم، فإذا ما مُحّصوا بالبلاء قلّ الديانون»[1].

الخطاب التربوي للحسين

لقد لامس الحسين عليه السلام هموم الأمة وهواجسها الأخلاقية والفكرية والسياسية، وسعى بخطاب تربوي بعيد عن الكلام الإنشائي العام وتوجه إلى الجزئيات الدقيقة التي تلامس الممارسات العملية لإصلاح الخلل وتكريس معالم الحق والفضيلة في سلوك الأمة عبر أقواله وممارساته عليه السلام.

١- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، جزء ٤٤، صفحة ٣٨٣

فترى الإمام كثير التكرار للآية الكريمة: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]. يريد من ذلك أن الهدف والغاية هو الوصول لتلك الدار الخالدة التي وسيلتها التقوى والعمل الصالح في الحياة الدنيا، ويركز الحسين في خطابه على الأساس العقائدي حيث يقول عادةً في خطابه: «إن الحسين بن علي يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله»[2] ورغم أنه الإمام المعصوم إلا أنه يربي الأمة على ضرورة الوعي بالحث واتباعه والرد على الباطل ومواجهته أيًّا كان مصدره، مثل قوله: «فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن ردَّ عليّ هذا أصبرُ حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين»[3]. جاءت هذه الكلمات تعبيرًا عن المنطلقات التي هي استكمال وتعزيز لمسيرة الرسول ﷺ ويأتي الحسين ليخاطب الأمة تأديبًا لا في سلوكها العملي وأسلوب تربوي: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[4].

كما يربّي الحسين عليه السلام فينا ما قاله رسول الله في الصبر وأهمية الارتباط به خصوصًا في المصائب والابتلاءات كي

١- القصص: ٨٣

٢- معالم المدرستين، السيد مرتضى العسكري، جزء ٣، صفحة ٥٠

٣- حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ باقر شريف القرشي، جزء ٢، صفحة ٢٦٤

٤- تحف العقول، جزء ١، صفحة ٣٨٣

تكسب هذه الأمة القوة في مواجهة التحديات بقوله: «سمعت رسول الله يقول: ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة وإن قدم عهدها فيحدث لها استرجاعًا إلا أحدث الله عنه ذلك وأعطاه ثواب ما وعده عليها يوم أصيب بها»[1].

يرتقي الحسين عليه السلام بوعي الأمة لكي تنظر إلى الأولويات والمسائل المهمة وتتركز جهودها على ما فيه صلاحها بدلاً من توافه الأمور غير النافعة بقوله عليه السلام: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعالِيَ الأُمورِ وَأَشْرافَها وَيَكْرَهُ سَفْسافَها»[2]، وقد أعطى الإمام تجربة عملية تمثل هذه المقولات تترجم فعل وقول الإمام إلى واقع عملي يكون مصدر إلهام للأمة ويربيها على تصحيح مسارها دومًا وجعل الاستقامة في الدين والعمل منهجًا في الحياة والانشغال بأولويات الأمة والابتعاد عن الأمور التي تلهيها عن أهدافها وتنشغل بها فيضيع وقتها وجهدها.

الحسين في دولة أمير المؤمنين عليه السلام

في عهد الدولة الإلهية التي أدارها أمير المؤمنين عليه السلام التي ارتكزت على بسط العدل والإحسان للأمة، الذي جعل أئمة

١- أحاديث أهل البيت عليهم السلام عن طريق أهل السنة، مهدي الحسيني الروحاني، جزء ١، صفحة ٥٣٢

٢- نهج الفصاحة، حديث ٨٠٤

الكفر الذين لا إيمان لهم يتكالبون على عداوته فضلاً عن منظومة المنافقين والمنتفعين الانتهازيين الذين خسروا مصالحهم الشخصية قبال المصلحة العامة التي توخّاها الأمير عليه السلام، وهناك فئة الجهلة المتلبسين بالدين والذين سموا بالخوارج والذين ساهموا بشكل كبير في توهين الأمة وكسر قوتها مما اضطر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمحاربتهم ومواجهتهم حيث قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، وقد كان عمر الحسين عليه السلام حينما تولى أمير المؤمنين الحكم في مقتبل الثلاثين من العمر، كان الحسنان السند لدولة أمير المؤمنين وأبرز مساندیه حتى أن أمير المؤمنين يعلم ما يمثله الحسن والحسين من قيمة خاصة ووجاهة في الأمة باعتبارهما ابني رسول الله، لذا بيّن بأن صرامته في تطبيق الحق يمتد حتى إلى الحسن والحسين لو أخذا شيئًا من فيئ المسلمين ظلمًا وعدوانًا -حاشاهما- تبيانًا للمساواة في تطبيق الحق، فإن لا أحد فوق القانون حتى لو كان ذلك الحسن أو الحسين عليهما السلام مع عظم شأنهما. وكانت من المسؤوليات الملقاة على عاتق الأمير عليه السلام حفظ الحسنين فهم وصية رسول الله، لما سُئِل أخوهم محمد بن الحنفية لماذا يقدمك أبوك في معركة ويحفظ الحسن والحسين، أجاب جواباً ذكياً ذا مغزى وبلاغة أخذها عن أبيه وتربية علوية: «إنّهما عيناه،

وأنا يمينه، فهو يدفع عن عينيه بيمينه»[1] ومع ذلك إذا اشتدت المعركة يدفع بهما وبكل بسالة تجدهم آساد النزال في صفين والنهروان، كما تجد الحسين حاضراً في الشؤون الإدارية للدولة مبعوث أبيه في الأمصار والقبائل ومساعد الأمير في شؤون الحكم وتطبيق أحكامه واستمر ذلك حتى استشهاد أمير المؤمنين فكان الحسين نموذجًا للامتثال للقيادة والارتباط بها في انصياع تام وذوبان في قيادة أبيه ومن بعده أخيه عليه السلام.

في ظل الإمام الحسن

كما يقال وجهان لعملة واحدة، كذا كان حال الحسن والحسين في منطلقاتهم وأهدافهم وغاياتهم، وإن تعددت الأدوار في أزمنة إمامتهم بحسب متطلبات الرحلة والظروف المحيطة التي تجعل هذا الإمام يأخذ هذا الموقف أو ذاك. لقد ارتبط الحسين بكل متطلبات مرحلة أخيه الحسن، وكان الظهر له والمدافع عن نهج أخيه، وكان كذلك ملتزمًا بمقررات ما له من دور في هذه المرحلة، فكما يحكي لنا التاريخ من صلح الإمام الحسن مع معاوية، يظهر لنا بأن الحسين لم يبايع معاوية عملاً بتكليفه الخاص من الحاكم الشرعي وهو الحسن في حينه عليه السلام، لكن مطلوب منه كذلك تحصين موقف الإمام

١- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، جزء ١، صفحة ٢٤٤

الحسن والدفاع عنه، بل والالتزام به ما دام معاوية موجودًا، وهذا التنسيق في المواقف والدقة مظهر دقة الأئمة عليهم السلام في التعامل مع الحوادث والمواقف وتشخيص المصلحة، والموازنة التي تعامل معها الإمام الحسين في تشخيص الظرف التاريخي للصلح. فمن الطبيعي جدًا أن يتبادر لذهن أي شخص لم لا يبايع الحسين على خلفية الصلح لمعاوية دلالة على معارضته للصلح ومن ثم للحسن، لذا تحرى الحسين الدقة في التعامل مع هذا الظرف وليزيل الشبهة عن أذهان الموالين ابتداءً، وليظهر للمخالفين خصوصًا معاوية أن هناك خط رجعة عن الصلح في أي عملية التفاف على بنوده، وكذلك يوصل رسالة أن العلويين يمسكون بيد السيف لمن أراد، وبيد أخرى يصافحوا من أراد، لذا لم تكن للحسين بيعة أبدًا لحاكم جائر لا اضطرارًا ولا غيره، وهذه لها رمزية خاصة في حركته الثورية كما سيأتي لاحقاً.

وهنا لا بد أن نسلط الضوء قليلاً على الظروف السياسية والاجتماعية في زمن الإمام الحسن التي أدت لخيار المصالحة مع معاوية في حينه.

أهم الظروف السياسية والاجتماعية التي أحاطت بصلح الحسن عليه السلام

هناك منعطفات تاريخية حصلت في زمن الإمام الحسن جعلت الظروف الموضوعية تفرض هذا الخيار، فالصلح مع معاوية لم يكن خيار الإمام الحسن، وإنما خيار فرضته الظروف والوقائع وما آلت إليه الأمة من ضعف وتخاذل من نصرة الحق وعدم الامتثال لأمر القائد، وبحسب تعبير السيد القائد حفظه الله: «أن ما جرى ليس نقصًا وضعفًا في تدبير وحكمة الإمام الحسن عليه السلام وإنما قصور ونقص وضعف في الأمة التي لم تلتف حول قيادتها الإلهية»[1]، فلو استعرضنا الأوضاع باختصار، كانت كالتالي:

١. استلم الإمام الحسن تركة ثقيلة جدًا عبّر عنها أمير المؤمنين عليه السلام في خطبه كثيرًا أواخر حياته، حيث الاغتيالات التي مارسها معاوية ضد النخبة من الشيعة كاغتيال الأشتر ومحمد بن أبي بكر وغيرهما، وكذا الانشقاق الذي حصل في جيش الأمير عليه السلام بعد حرب صفين ومسألة التحكيم وظهور فئة الخوارج، وكذا تهاون أهل الكوفة وتقاعسهم عن الجهاد ولجاجتهم وجدالهم وتفرقهم عن الحق، وفي المقابل اجتماع أهل

١- النقل بالمضمون

الباطل على باطلهم، أضعف جبهة الحق وأصبحت مثخنة بالجراح، فضلاً عن الإعلام الموجه والكاذب الذي كان يبث الإشاعات والتضليل والكذب ضد أمير المؤمنين عليه السلام ومن بعده الإمام الحسن عليه السلام.

٢. كما أسلفنا أن الخيار الذي أراده الإمام الحسن عليه السلام منذ البداية بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام بعد ١٨ يوم من استشهاد والده عليه السلام ودعاهم لمعسكر النُخيلة، وبعث إلى عبدالله بن عباس وقد تكشفت حينها نقاط خطيرة، فالأمة تعيش حالة من الخوار وعدم المسؤولية والتهاون في أداء تكليفها فضلاً عن تغليب المصالح الدنيوية وشراء الاسم الذي قام الإمام الحسن عليه السلام بتعبئة الجماهير أكثر من مرة وطرق في بلاد السواد «العراق» يحشِد للقتال، والنتيجة كانت مؤسفة، بل الأخطر من ذلك أن يتعرض للإمام عليه السلام لمحاولتي اغتيال إحداها عند المدائن ويطعن بحربة في فخذه الأيمن، والأخرى وهو في طريق خروجه من الكوفة نحو المناطق المحيطة، وحصول الاعتداء عليه وهو على فرسه.

٣. مع كل هذا خطى الإمام الحسن خطوات متقدمة عميقة، وبعث بكتائب تقدم جيشه نحو الثغور لتكون

طلائع الجيش، وإذ بمعاوية يشتري ذمم قيادات الجيش وكان بعضهم من المقربين من الإمام الحسن كعبيد الله بن العباس والكندي، تلك الوضعية لم تجعل مجالاً للمواجهة.

٤. قد يُطرح تساؤل إذن لماذا لم ينهض الإمام الحسن عليه السلام ويفعل كما فعل الحسين في كربلاء حتى لو خرج وحيدًا في الساحات؟ الفرق كبير بين زمان معاوية وزمان يزيد، كان معاوية مع كل مساوئه ونفاقه متلبسًا بعباءة الدين متدثرًا بالسلوك الديني ظاهرًا، فخروج الحسن عليه في حينه بأسلوب الاستشهاديين لن يكون مجديًا لإيقاظ هذه الأمة الملتبسة أمورها، لذا كانت المرحلة تقتضي فضح ممارسات النظام وتعريته أولاً من جهة، ومن جهة أخرى بناء الوعي وإصلاح الفئة المؤمنة لكي تنهض بدورها، لذا ترى الحسين عليه السلام مكث بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام عشر سنوات في عهد معاوية ولم ينهض، بل إنه لما جاءت رُسُل الموالين له تطالبه بالنهوض، طلب منهم أن يكونوا أجلاس بيوتهم ويلزموا الأرض حتى يهلك الطاغية. ولما جاء عهد يزيد، ها هي معالم الدين اندرست وأصبح الكفر ظاهرًا وبيضة الإسلام «أصله» في خطر، فعمل الحسين بتكليفه الشرعي في

زمان يزيد كما عمل بتكليفه في زمان معاوية وكما فعل بتكليفه الإمام الحسن الذي اقتضته مصلحة الإسلام، فكانت ثورة الحسين عنوانًا للرحلة؛ لأن الوضع وصل إلى مرحلة النضج للثورة حتى لو كان بأفراد قلائل فكانت الرؤية واضحة لدى الحسين وليست مجرد حماسة وحمية على الدين دون علم بعواقب الأمور: «ألا ترون بأن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن إلى لقاء ربه»[1].

٥. إن إرهاصات الثورة الحسينية بدأت من نتائج صلح الحسن، وقد تحمل الإمام الحسن تكلفة وتداعيات ذلك الصلح لينجح البناء التوعوي للأمة وإعادة تأهيلها، فعلى الرغم من صدور بعض المواقف السلبية في البداية على خلفية الصلح من بعض الشيعة المخلصين، والتي وصلت إلى وصف الإمام الحسن عليه السلام بمذلّ المؤمنين وواجه الحسن عليه السلام منعطفًا خطيرًا على المستوى الفكري ووعي الشيعة الذين تم إدخالهم امتحانًا صعبًا سقط فيه الكثيرون، وهو الامتثال للإمامة الإلهية والطاعة والولاية لها في كل الظروف.

١- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، جزء ٤٤، صفحة ١٩٢

٦. سعى الإمام الحسن لتحمل أعباء المرحلة والدخول في صراع فكري مع نهج معاوية وبحسب تعبير السيد القائد: «أن الخطب والكلمات التي واجه بها الإمام الحسن معاوية بشكل مباشر تكاد تكون أقوى من خطب أمير المؤمنين في هذا الشأن باعتبارها كانت مباشرة وجهًا لوجه»[١]. كما عمل الإمام الحسن على توعية الشيعة وتأهيلها والصبر على ردود أفعالهم، وقد نجح في تهيئة الأرضية المستقبلية لأخيه الحسين عليه السلام، ونتيجة تحفظات بعض الشيعة على الصلح أراد الحسن بيان أهداف الصلح لهم واستراتيجيته في ذلك. ففي إحدى المرات جاء للإمام الحسن من الكوفة وفد وهو في المدينة ضم شخصيات هامة من أمثال سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة والمختار الثقفي يسألون عن الصلح، فدخل معهم الإمام الحسن في حوار سري لم يذكره لنا التاريخ، فخرجوا من عنده راضين! فيا ترى ماذا أسرَّ لهم لكي يخرجوا راضين؟!!

٧. التناغم بين موقف الحسن والحسين في مسألة الصلح رغم عدم بيعة الحسين عليه السلام: ويمكن هنا

١- النقل بالمضمون

توضيح هذا الأمر من خلال موقف جلي يبين مدى امتثال الحسين لقيادة الحسن وتكليف الحسين الذي أطّره الحسن عليه السلام. فعند انعقاد الصلح طُلب أن يبايع لمعاوية بالخلافة، وامتنع الحسين عليه السلام فلما سأل معاوية الحسن ردّ عليه الإمام الحسن عليه السلام وقال له: دعه لا شأن لك به!! وعندما جاء قيس بن سعد بن عبادة وهو من خُلّص الشيعة ورفض بيعة معاوية قائلاً للإمام الحسن لقد عاهدت نفسي أن لا أقف موقفًا مع معاوية إلا وبيني وبينه السيف، فأمره الإمام الحسن عليه السلام أن يبايع، فنظر قيس إلى الحسين عليه السلام، فقال له الحسين عليه السلام وهو مشير للحسن عليه السلام: «هو إمامي وإمامك» أي: إن تكليفي الخاص أن لا أبايع وتكليفك يا قيس أن تبايع فمصدر التكليف واحد فيجب الالتزام به، ففي الظروف الخاصة يكون التكليف الفردي يختلف من شخص لآخر.

وقد كان من آثار الصلح ونتائجه في حين أن أهل البيت وشيعتهم سلموا من بطش معاوية وجوره عليهم لمدة، وكانت فرصة للقيادة لتأهيل الأمة وتربيتها، مع أن تجاوزات معاوية لم تتوقف إلا أنها طوال فترة وجود الإمام الحسن عليه السلام كانت مقيدة ببنود الصلح، حتى وجد معاوية أن العقبة الكبيرة أمام مشروعه

هو الحسن عليه السلام فقام بسمه، واستشهد الإمام على إثر ذلك.

إرهاصات الثورة

كان النقض الكبير للصلح بدأ مع قتل الإمام الحسن عليه السلام بالسم ثم توالت الخروقات مع سب أمير المؤمنين على المنبر وقتل خيرة شيعتهم من أمثال حجر بن عدي وصحبه في مرج عذراء، وعمرو بن الحمق الخزامي والحضارمة في الكوفة فتوترت الأمور وأصبحت على حافة الثورة، وقد بعث الشيعة برسائل الإمام الحسين يطلبون النهوض، ولأن المرحلة لم تصل لحالة النضج، وكان يوصيهم بأن ينتظروا هلاك الطاغية.

وعلى الرغم مما قام به معاوية من إجراءات ضاغطة على الحسين شبيهة بالحصار الاقتصادي كمنعه من العطاء الذي تقدمه الدولة، إلا أن معاوية كي يتجنب الصدام مع الحسين، ومارس مكره وخداعه حتى قبيل هلاكه في الرابع من رجب سنة ٦٠ هـ حيث بايع لابنه يزيد بالخلافة من بعده، وهذا هو الخرق الأخير لبنود الصلح مع الحسن عليه السلام حيث ينص على إرجاع الخلافة للإمام الحسن، وإن لم يكن موجودًا فللحسين عليه السلام. وعلى أي حال عمل معاوية على المبايعة لابنه الفاسق يزيد بولاية العهد حرصًا على المسلمين سواء بالتهديد والقوة أو بالإغراء بالمال، وقد أوصى معاوية ابنه يزيد أن لا يتعرض

للحسين تحديدًا لدرايته برمزية الحسين وكونه يمثل رقمًا كبيرًا في الأمة يمكن أن يقلب الميزان على الأمويين مستقبلاً، فيجب التريث في التعامل معه، أما غيره فلتؤخذ البيعة منه عنوة أو يقطع رأسه ولو كان متعلقًا بأستار الكعبة!!

بلغ خبر هلاك معاوية في الشام بعد فترة وجيزة المدينة المنورة حيث الحسين ومجموعة كبيرة من الشخصيات الأخرى، وقد أعلن البعض منهم صراحةً رفض البيعة ليزيد، وكان على رأسهم الحسين عليه السلام.

كلا ليزيد

ما إن وصل خبر هلاك معاوية أوعز يزيد إلى واليه على المدينة الوليد بن عتبة أن يأخذ البيعة بالخصوص من الحسين بن علي وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير «أَخْذاً شَدِيداً، لَيْسَتْ فِيهِ رُخْصَةٌ، حَتَّى يُبَايِعُوا»[1]، ولما وصل رسول الأمير وكان الحسين وعبدالله بن عمر وابن الزبير جالسين في مسجد النبي صلى الله عليه وآله أخبرهم بأن الوالي يطلبهم، فقال الحسين عليه السلام: «قد ظننت أرى طاغيتهم قد هلك»[2] فلزم بن عمر بيته وأغلق بابه، وقام ابن الزبير خارجًا من المدينة متخفيًا ذاهبًا لمكة، أما الحسين فقد لبى

١- تاريخ الطبري، جزء ٤، صفحة ١٥٠

٢- نفس المصدر، صفحة ٢٥١

دعوة الوليد بن عتبة وقبل المواجهة المباشرة وإعلان الموقف.

خرج الحسين إلى مجلس الوليد بن عتبة مصطحبًا معه ثلاثين من أهل بيته مدججين ووقفوا خارج المجلس، وأخبرهم إذا ارتفعت الأصوات فانهضوا واقتحموا المجلس، وبالفعل دخل الحسين عليه السلام المجلس منفرداً فوجد معه مروان بن الحكم جالسًا بجانبه، عندها أخبر الوليد الحسين عليه السلام بموت معاوية وطلب منه البيعة ليزيد، فردَّ عليه الحسين ردًّا دبلوماسيًا هادئًا: «أيها الأمير: إن البيعة لا تكون سرًا ولكن إذا دعوت الناس غدًا، فادعنا معهم» فقال مروان: «لا تقبل أيها الأمير عذره ومتى لم يبايع فاضرب عنقه». عندها يظهر الحسين حقيقة الحسين وغضب الإباء، فنظر الحسين لمروان نظرة غاضبة وقال له: «ويل لك يا بن الزرقاء أنت تأمر بضرب عنقي كذبت والله ولؤمت».

وعاد الحسين مخاطبًا الوالي الوليد: «أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا ختم الله ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله. ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة».

عندها خرج الحسين من عنده ولم يرد عليه الوليد، عندها لام مروان الوليد، وكان الوليد يتخوف من أن يتحمل مسؤولية

قتل الحسين ويكره ذلك فنأى بنفسه عن ذلك.

وقد كان هذا الكلام للحسين يعتبر البيان الأول للثورة وانطلاقة الحركة المظفرة لإحياء معالم الدين، والتأكيد على أن المنطلق يجب أن يكون دينيًا من أهل البيت، وأعطى المبررات للثورة ورفض البيعة ليزيد الفاسق المعاقر للخمر والقاتل للنفس المحرمة.

وفي صبيحة اليوم التالي، يلتقي مروان بن الحكم اللعين بالإمام الحسين عليه السلام ولتخفيف حدة الموقف واللهجة التي استخدمت بالأمس، قال مروان: إني آمرك ببيعة يزيد بن معاوية فإنه خير لك في دينك ودنياك. فكان رد الحسين الحازم الذي تهاون فيه: «إنا لله وإنا إليه راجعون وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد»[1].

شجاعة وهيبة الحسين

مع تواضع الحسين وحلمه ودماثة خلقه التي ورثها عن أبيه وجده المصطفى صلى الله عليه وآله تجد الحسين ذا مهابة كبيرة تخضع له الرقاب تلقائيًا، وهذا بشهادة المقربين والأبعدين، حتى إذا دخل الحسين على الحسن وهو في جماعة وعلى الرغم من كون الإمام

١- اللهوف في قتلى الطفوف، السيد بن طاووس، جزء ١، صفحة ١٧-١٨

الحسـن هو الأكبـر إلا إنه يقف إجـلالًا له، كما يذكـر المؤرخون في سـيرهم إذا خرج الحسـين للحج وهو في الطريق وقد مرّ ركبه على الجماعة تجدهم ينزلون من على فرسـهم احترامًـا وهيبة له، وهذا والي يزيد الوليد بن عتبة يتهيب الحسين في الموقف الذي أسلفنا ذكره، وقد زينت هذه المهابة تلك البشاعة الاستثنائية التي رأيناها فـي كربلاء وهي ليسـت وليدة اللحظة، ولكنها سـمة من سـمات شخصية الحسين عليه السلام حتى استشهد العدو فيه في وقتها «ما رأيت مكثوراً قط قُتِل أهل بيته وأصحابه أربط جأشًا من الحسين»[1].

شجاعة الحسين كالشمس في سطوعها لا يهاب في الحق أحـدًا وكربلاء كما سـيأتي شـاهدةً على ذلك وكـذا قبلها، وكائن من كان ما دام على الحق فلا يبالي، حتى أنه لما وشى أحدهم عنـد معاويـة -أي عمل اسـتخباراتي- بأن الحسـين يعد للثورة عليـه أرسـل معاوية إليـه يطلب منـه الوفاء بالصلـح الذي وقعه الحسـن ويحـذره ويهـدده، فـردَّ عليه الحسـين بأنه مـوفٍ بعهد الحسن، ولكنه قال: «إني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها»[2]. فهناك جرأة على المواجهة الفكرية والخطابية وفي الميدان لدى الحسين قلّ نظيرها تجعله مؤهلاً لحمل تلك الأمانة وتحمُّل مشاقها وصعوباتها خصوصًا مع مخاضات الثورة

١- الإرشاد، الشيخ المفيد، جزء ٢، صفحة ١١١

٢- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، جزء ٤٤، صفحة ٢١٣

واستحقاقاتها التي تتطلب شخصية استثنائية كالحسين.

وبسبب نشوء وضع خطيروجديد على الإسلام والمسلمين، حيث آلية جديدة في تداول الحكم لم يعهدها المسلمون، وأصبحت السلطة ملكية بالوراثة فضلاً عن النموذج السيء للحاكم الفاجر المتهتك كيزيد، مما تتطلب موقفًا استثنائيًا لمواجهة هذا الانحراف الخطير، من هنا تأتي شجاعة وإقدام الحسين لتكون شخصية الرحلة.

زيارة الوداع

لقد اعتاد الحسين طوال حياته على زيارة جده رسول الله ﷺ بشكل يومي، ولكنها هذه المرة كانت مختلفة، ولها وقع خاص مع الظروف التي تمربها الأمة والاختبار الخطير الواقع على دينها، ذهب الحسين لزيارة قبر جده المصطفى، وحكى إليه هموم الأمة وشجونه وشكا إليه هذه الطغمة الفاسدة المتحكمة في الأمة وأحوال المسلمين، ومما قال عليه السلام وهو يخاطب الجليل الأعلى بحق صاحب القبر: «أنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام، بحق القبرومن فيه إلا ما اخترت لي ما هولك رضىً ولرسوله رضى»[1] فغفا الحسين عند قبر النبي ﷺ، فرأى رؤيا جعلته يحسم أمره ويقرر الخروج من المدينة المنورة،

١- نفس المصدر، صفحة ٣٢٤

والثورة على الطغاة من أجل إيقاظ المسلمين وإصلاح أمرهم في دينهم ودنياهم.

الهجرة الحسينية الشريفة

على سنة جده المصطفى في بدء الفتح العظيم من خلال الهجرة، ولكن هذه المرة كانت بشكل معاكس، فقد هاجر النبي صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة وها هو الحسين يرجع من المدينة لمكة وكأنه يقول لقد انطلق جدي من مكة برسالة الإسلام وهي الآن تكاد تندرس وتضيع لترجع إلى المربع الأول ومن مكة المحمدية تبدأ الثورة لإعادة إصلاح الدين من جديد!! أخبر الحسين أهل بيته وشيعته بالمدينة بعزمه على الخروج من المدينة متوجهًا نحو مكة وغرضه القيام على هذه الطغمة الحاكمة، فجاءه العديد من الأشخاص المقربين يناصحون إما بعدم الخروج لخطورة الوضع عليه وإما أن يتوجه إلى مكان آخر غير مكة ويدعو من هناك الناس إلى بيعته.

ولكن بصيرة الحسين كانت ترى شيئًا آخر لا يراه بقية الناس حتى المقربين منهم وهو عليه السلام يؤسس لوضع جديد وقواعد للتعامل مع الحكم الظالم المستبد بوجوب الثورة، وأعطى لهذه الثورة شرعية باقية ما بقي الظلم والجور، وأن الخطر الأكبر هو قبول ذلك الظلم والتبرير له.

إن نهوض الحسين ضد يزيد ليس منازعة على سلطة، وبحسب تعبير سماحة السيد القائد: «لا نخلط بين الهدف والنتيجة، فهدف الحسين هو أداء التكليف الشرعي، والنتيجة المتحققة من ذلك إقامة حكم الله، ولا يتم ذلك الحكم إلا بوسيلة لبسط اليد على السلطة، ولكن الحسين كان سينهض سواء كان معه أحد أو لا أحد، فهو معني بهدفه وهو أداء التكليف الشرعي، وأما تحقق النتائج فهو مرتهن بالأسباب الواقعية»[1].

ومن الشخصيات التي ناصحت الحسين في مسألة خروجه أخوه محمد بن الحنفية الذي قاس الأمر على المعطيات الميدانية والسياسية بأن اقترح خروج الحسين إلى بلاد يقدر على التحصن فيها والامتناع على السلطة ويدعو من هناك إلى البيعة لنفسه، وحذره من الذهب لمكة أو لأهل العراق.

ومع ذلك فالحسين المشفق وبكل سكينة يخاطب أخاه: «يا أخي قد نصحت وأشفقت، وأرجو أن يكون رأيك سديدًا»[2] كما ناصحه آخرون كأم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وابن عمر. اصطحب الحسين معه في رحلته أهل بيته وإخوته رجالاً ونساءً، وكان يوم

١- النقل بالمضمون

٢- وقعة الطف، المجلد الأول، صفحة ٨٣

خروجه من المدينة على الناس كيوم وفاة رسول الله، ومضى في طريقه نحو مكة واتخذ الطريق الأعظم الذي يسلكه الناس نهارًا جهارًا ومعلنًا رأيه دون وجلٍ من سلطة ليعلم الناس جميعًا بأن الحسين خارج على سلطة بني أمية الظالمة، وأن واجب الأمة هو إسقاط هذا النظام الفاسد بكل هيئاته ورموزه، خرج الحسين خائفًا على الدين من أن يندرس ويضيع لذا تجده وهو خارج من المدينة يكرر الآية الكريمة: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1] على سنة نبي الله موسى عندما خرج من أرض فرعون الظالم خائفًا على دينه وعقيدته، وكان خروجه من المدينة بتاريخ السابع والعشرين من رجب سنة ٦٠ هـ المصادف ليلة الأحد.

في الطريق إلى مكة

خرج الحسين من المدينة متخذًا الطريق الأعظم جنوبًا باتجاه مكة وهو يعلم أن المواجهة قد تحصل في أي لحظة، والتقى في الطريق إلى مكة عبد الله بن مطيع العدوي، وناصح الإمام بعدم الخروج وواقع الأمة المؤلم الذي يعيش سباتًا عميقًا، فشكره الإمام، وآخر ما قاله العدوي للإمام: «لئن هلكت

١- القصص: ٢١

لنسترقّن من بعدك»[1] أي: سنتحول إلى عبيد، لكن بصيرة الحسين سارت بالركب وتعلم بالعاقبة، وأن كل ذلك هيّن في سبيل الله، وتوقف الإمام كثيرًا في الطريق إلى مكة وهو يخبر كل من يلاقيه بموقفه وبعد أسبوع تقريبًا من خروجه وصل إلى مكة في الثالث من شعبان ٦٠ هـ، وهو يردد الآية الشريفة: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[2]

في مكة التحشيد للثورة

مع دخول الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة سكن في دار العباس بن عبد المطلب، وقد شاع خبر خروجه بين الناس، وجاءته الوفود تترى فرادى وجماعات تتلقى من الحسين تلك الكلمات التي تترجم واقع الأمة وتشخص الوضع والموقف الذي يجب أن يُتّخذ، بدأت الأمة تسمع لغة جديدة وتعبئة لطاقاتها الكامنة من أجل النهوض بالحق بعد أن كاد أن يندرس، لقد أعاد الحسين ما قاله جده من قبل والذي كاد أن يُنسى أو يتناسى يقول الإمام الحسين عليه السلام: «الخلافة محرمةٌ على آل أبي سفيان، فإذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه، وقد رآه أهل المدينة على المنبر فلم يبقروا بطنه، فابتلاهم الله

١- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، جزء ١، صفحة ٥٨٨

٢- القصص: ٢٢

بيزيد الفاسق»[1]، هنا تتبين بصيرة الحسين من اتخاذ مكة منبرًا لتعبئة الأمة خصوصًا أن الحج قادم في الطريق وإقامة الحجة ستكون تامة، فمكة ملتقى المسلمين ومنطلق الدعوة، لذلك نجد الحسين يكرر في خطاباته المكية أهداف ثورته المرتكزة على مبدأ الإصلاح في أمة جده ﷺ، وإعادة وهج الإسلام، وجوهرة وإعادة بناء الوضع الاجتماعي والسياسي المنهار. مع مرور الوقت بلغ خبر الحسين أقطار العالم الإسلامي ولما وصل خبره لأهل الكوفة، اجتمع أهل الكوفة وأعيانها في منزل سليمان بن صُرد الخزاعي وقد أبدوا استعدادهم لاحتضان الثورة والقيام مع الإمام ونصرته وتعاهدوا على ذلك، فبعثوا له بكتبهم التي تدعوه للمجيء إلى الكوفة ليكون لهم إمامًا وحاكمًا، ومما راسلوه: «لَيْسَ لَنَا إِمَامٌ فَأَقْبِلْ لَعَلِّ اَللهُ أَنْ يَجْمَعَ نَا بِكَ عَلَى اَلْهُدَى»[2]. وإتمامًا للحجة عليهم على الرغم مما أحدثوه مع أمير المؤمنين وأخيه الحسن من بعده، فاستجاب الإمام، وأمر ابن عمه مسلم بن عقيل وهو ثقة ليكون الممثل الشخصي له عليهم إلى حين قدومه إعدادًا للثورة، فأسبقه بخطاب لهم يزكي مسلم بن عقيل: «وإني باعث إليكم أخي

١- مقتل الحسين عليه السلام، السيد عبدالرزاق المقرّم، المجلد الأول، صفحة ١٣٣
٢- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، جزء ٤٤، صفحة ٣٦٣

وابـن عمـي وثقتـي مـن أهـل بيتـي»[1]، وكان فـي خطابـه عليه السلام ردًا جوابيًا على كتبهم بشـأن نصرته محـددًا لهم إطار القيادة الذي يجـب الامتثـال لها: «فلعمـري ما الإمـام إلا الحاكـم بالكتاب، القائم بالقسـط، الدائـن بدين الحق، الحابس نفسـه على ذات الله، والسلام»[2].

ثـم كتب كتبًا مماثلة لأهل البصـرة الذين دعوه للنصرة: «.. وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلى كِتابِ اللهِ وَ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله، فَإِنَّ السُنَّةَ قَدْ أُميتَتْ، وَ إِنَّ الْبِدْعَةَ قَدْ أُحْيِيَتْ، وَإِنْ تَسْمَعُوا قَوْلي وَتُطيعُوا أَمْري أَهْدِكُمْ سَبيلَ الرَّشادِ»[3].

بـدأ الحراك السياسـي والحيـاة تدب في صفوف المسـلمين مـع خـروج الحسـين للثـورة، فقـد عقـد الشـيعة اجتماعًـا فـي البصرة، في منزل مارية بنت سـعدة مـن قبائل عبد القيس وقرروا نصـرة الحسـين عليه السلام، ولكـن الزعماء مـن القبائل أجـاب الدعوة، منهـم يزيـد بن مسـعود القيمـي الذي دعـا قومه لنصرة الحسـين فاسـتجابوا، وكتب للحسـين عليه السلام كتابًا في ذلك إلا أنـه قُتِلَ قبل مجيء الحسـين علـى يد جهـاز المخابرات التابـع لعبيد الله بن

١- الإرشاد، الشيخ المفيد، جزء ٢، صفحة ٣٩

٢- نفس المصدر

٣- تاريخ الطبري، جزء ٤، صفحة ٢٦٥-٢٦٦

زياد، وصاحب الوشاية العميل لابن زياد الذي نقل خبر الاجتماع السري لأنصار الحسين في البصرة كان المنذر بن الجارود، وهذا الشخص من المحسوبين على الشيعة لكنه صاحب أهواء ومصالح شخصية ومعروف بالانتهازية، حتى أنه كان عاملاً لأمير المؤمنين عليه السلام في زمانه في أردشير وعزله الإمام في حينه من منصبه لمساوئ ارتكبها وسوء سيرة في الرعية حتى قال فيه الأمير عليه السلام في قرار عزله: «ولقد غرنا صلاح أبيك فيه»[1] فأبوه كان من خواص الموالين من المؤمنين الأوائل الذين أسلموا من البحرين، إلا أن هذا الابن السيء كان مشاركًا في مناهضة ثورة الإمام الحسين وبرزت سوء عاقبته في هذه المرحلة.

إشارة

إن وجود فئة المنافقين وأصحاب المصالح الضيقة من الانتهازيين والمقربين للسلطات في ظل أي ثورة يشكل خطرًا واهمًا على وجودها، وقد يجهضها منذ بدايتها وقد برزت هذه النماذج مع إرهاصات الثورة الحسينية وخصوصًا في الكوفة، فهناك الكثير ممن كاتبوا الحسين عليه السلام لينصروه تجدهم بعد ذلك في كربلاء ضمن معسكر أعداء الحسين.

١- من كتاب الإمام علي عليه السلام إلى المنذر بن جارود

الممثل الشخصي للولي مسلم بن عقيل

بعد المراسلات التي جرت بين الحسين عليه السلام وأهل الكوفة والتي وصل عدد كتب أهل الكوفة للحسين إلى ١٢ ألف كتابًا تبايعه وتدعوه للنصرة، بعث الإمام عليه السلام بممثل شخصي له يمهد الأرضية للثورة ويعدّ العدة في الكوفة إلى حين وصوله عليه السلام لهم، ووجد الإمام الشخص الأمين لهذه المهمة الكبيرة القيادي مسلم بن عقيل بن أبي طالب.

خرج مسلم مبعوثًا من الحسين في النصف من شهر رمضان سنة ٦٠ هـ، ووصل مسلم إلى الكوفة في الخامس من شهر شوال ونزل في دار المختار بن أبي عبيدة الثقفي، واتخذها مقرًا له ولتحركاته.

في حينها كان الوالي على الكوفة النعمان بن بشير، فرغم ولائه للأمويين إلا أنه لم يسلك مسلكهم في سفك الدماء فآثر الانكفاء في قصر الإمارة وعدم التعرض لحركة مسلم بن عقيل رغم وصول نبأ وصوله للكوفة له، عندما اشتدت وتيرة الحركة الثورية في الكوفة وبايع مسلم بن عقيل ١٨ ألف من الكوفة وما حولها من أرض السواد، وإحدى علامات تمكّن ونجاح مسلم في مهمته أن أصبح دور والي الأمويين شكليًا ولا وجود عملي على الأرض لسلطانه، حتى الصلاة الجامعة في جامع الكوفة الكبير تولاها مسلم بن عقيل والثوار، وبدأت الأمور تسير على

ما يرام. من جهة أخرى كتب أنصار بني أمية في الكوفة ليزيد يحدثونه بما يحدث فيها، حيث انفلت الزمام وأصبحت في قبضة الثوار، ويطلبون منه الإسراع في التحرك وإرسال والٍ قوي، لأن النعمان بن بشير ضعيف أو يَضعف، استشار يزيد سرجون الرومي -مستشاره ومستشار والده من قبل- فأشار عليه بعزل النعمان بن بشير وتولية عبيد الله بن زياد الكوفة، وكان حينها واليًا على البصرة. عندها ولّى يزيد ابن زياد الكوفة إضافة للبصرة وأمره بالقضاء على التمرد مهما كلّف الأمر، عندها سارع ابن زياد إلى الكوفة ودخلها متنكرًا، إذ تلثّم ولبس عمامةً سوداء، فظنّه الناس الحسين، فرحّبوا به، فسار إلى قصر الإمارة، فعرّف النعمان بنفسه، ففتح له باب القصر وسلمه الإمارة.

قبل وصول ابن زياد للكوفة بفترة وجيزة كاتب مسلم بن عقيل الإمام الحسين عليه السلام طالبًا منه القدوم للكوفة فقد نضجت الثمرة والأمور مهيئة للثورة.

وعلى أي حال، في اليوم التالي من قدوم عبيد الله بن زياد للكوفة، نادى منادٍ بالصلاة الجامعة في الجامع الكبير بالكوفة، وعندما اجتمع الناس عرّف بنفسه وخطب فيهم، فهدد بالقتل وقطع الرواتب، ورغب بالمال والجوائز، وقام كذلك ببث الجواسيس وعمل المرجفون على بث الإشاعات وتثبيط

العزائم، كمقولة وجود جيش جرار لا قبل به قادم من الشام لسحق التمرد، عندها حدث التحول، وعادت الكوفة تعيد التجربة ولسيرتها المتكررة مع أهل البيت عليهم السلام، فغيّر الكثير قياداتهم ومواقفهم.

عوامل التحول في موقف أهل الكوفة من الثورة

قد يستغرب أي قارئ للتاريخ التحول الغريب للكوفة، فبعد أن كانت هي المبادرة لاحتضان الثورة، وكانت تغلي وتتعبأ، أصبحت في حالة من الردة والتراجع حتى صار جيشها كافٍ لمحاربة الحسين لاحقًا!! فأين ذهبت كتبهم؟ ١٢ ألف كتابًا؟!! وأين ذهب ١٨ ألف الذين بايعوا مسلم بن عقيل؟

١. **الانتماء الفكري والعقائدي:** تعتبر الكوفة مزيج من الانتماءات الفكرية والمرجعيات العقائدية، على الرغم من أنها كانت عاصمة أمير المؤمنين إلا أن سكانها ليسوا في أغلبهم شيعة لأمير المؤمنين، فهناك الشيعة الذين يرون إمامة الأئمة ويسلّموا لهم بالأمر في كل الظروف، وهناك فئة أخرى مخالفة كشيعة الأمويين وأتباعهم، وهم من خاطبهم الإمام الحسين في كربلاء لما جاؤوا لمحاربته وهم من الكوفة فقال لهم: «يا شيعَةَ آلِ أَبي

سُـفْيانَ»[1] ولم يقل لهم: يا شـيعتنا، وهناك فئة أخرى من المناوئيـن لأهـل البيـت وهـم الخـوارج وهذا ظاهـر، أما الأغلـب من سـكان المدينة فلا يحملـون هوية عقائدية وهـم مـع مـن غلـب أو مـن يلبـي مصالحهـم الضيقة أو على الأقل هم من يبسط يديه على الحكم!

٢. **التنـوع القبلـي والعشـائري:** نعلـم أثـر التركيبـة السـكانية خصوصًـا ذات البعـد العشـائري، ولأن مدينـة الكوفـة مجتمـعٌ حديـثٌ حيـث تأسسـت فـي عهـد عمـر بـن الخطـاب وقطنتهـا قبائل متعـددة ومتنوعـة، ونعرف أثر الانتماء العشائري على سـلوك أفرادها وولاتها، فبمجرد التأثيـر واسـتقطاب زعيـم العشـيرة يتم اسـتمالة أفرادها وولاتهـم، وهـذا ما فعلـه معاوية من قبل فـي عهد الإمام الحسـن عليه السلام، وهـا هو يكررها ابن زياد مـع زعماء القبائل في الكوفة.

٣. **الطابـور الخامـس والمعركـة الإعلاميـة:** يشـترك فيـه المنافقـون والمرجفـون وعملاء الأمويين الذين تم شـراء ذممهـم، فمارسـوا دورًا تخريبيًـا فـي أوسـاط المجتمـع الكوفي عبر بث الإشاعات وممارسة الاغتيال السياسي

١- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، جزء ٤٥، صفحة ٥٠-٥١

والوشاية على العارضين وتثبيط العزائم والحرب النفسية التي جعلت أبناء البيت الواحد يختلفون مع بعضهم والزوجة تأخذ بيد زوجها وهكذا حتى قال قائلهم: «الحسين سلطان ويزيد سلطان وما لنا والدخول بين السلاطين».

٤. **غلبة المصالح الدنيوية على المبادئ:** هذه كانت طبيعة تلك المرحلة. المجتمع الكوفي ليس شاذًا عن الأمة، فبمجرد تعرض مصالح الأفراد الضيقة للضرر تجده يخالف مبادءه، ويتراجع عن مواقفه وينحاز لمصالحه الدنيوية، كالذي سأله الإمام الحسين عن أحوال أهل الكوفة، فقال له: «قُلُوبُ اَلنَّاسِ مَعَكَ وَسُيُوفُهُمْ مَعَ بَنِي أُمَيَّةَ»[1]. ولأن حال الأمة هكذا نهض الإمام الحسين للثورة وهو يضع النقاط على الحروف ويشخص حال الناس: «الناس عبيد الدنيا والدين لعقٌ على ألسنتهم، يدورونه ما درّت معايشهم، فإذا ما مُحّصوا بالبلاء قلّ الديانون»[2].

١- وقعة الطف، المجلد الأول، صفحة ١٥٨

٢- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، جزء ٤٤، صفحة ٣٨٣

إجراءات الدولة الظالمة للقضاء على الثورة

١. أول إجراء قام به عبيد الله بن زياد في الكوفة، سياسة الترغيب والترهيب، فقام باستمالة رجالات القبائل والوجهاء بالأموال والوعود، والترهيب لكل مخالف بالزج بهم في السجون والقتل والتحشيد من إجراءات عسكرية باستدعاء الجيوش من كل الثغور لقمع أي حالة تمرد ومن ضمنها حيف بن سعد المتوجه للديلم طلب منه الرجوع للكوفة.

٢. عمل طوق أمني حول الكوفة لمنع الحسين عليه السلام من الوصول إليها، وعمل طوق أمني واسع شمل جنوب العراق بين البصرة والكوفة لحرف مسير الحسين أو أي أنصار له مع قطع الطرق الموصلة إلى الكوفة أو البصرة والمزارع والأجياد كي لا يخرج منها أحد لنصرة الحسين، وأوكل هذه المهمة إلى قائد شرطته الحصين بن نمير وكان موقع فرقته في القادسية.

٣. فرض حالة الطوارئ وحظر التجوال في كل من البصرة والكوفة، واعتقال كل من يخالف الأمر وكل من يشك في أمره، فاعتقل المختار بن عبيدة الثقفي وعبد الله بن الحارث وآخرون.

٤. وضع قائمة بالمطلوبين أمنيًا وعلى رأسهم في الكوفة مسلم بن عقيل، وكل من يأويه أو يتعامل معه، وهذا ما سنأتي على ذكره.

٥. إصدار أمر بمنع الحسين من الوصول إلى الكوفة إلا إذا وافق على البيعة ليزيد، وضمن الأمر منعه من العودة إلى المدينة أو أي مكان آخر، والخيار الوحيد هو الاستسلام وبيعة يزيد وإما القتل، ويجب ضمن الأمر دفع الحسين ابتداءً بالنزول في موقع غير مأهول بعيد عن الماء وغير حصين، وكانت هذه مهمة الحر بن يزيد الرياحي، فسار وهو على رأس ألف مقاتل في الطريق الصحراوي جنوب العراق.

٦. استبدال ولاة المناطق والجيش بقيادات تتناسب مع زمن الحرب. تتميز بالقسوة والشدة كما حصل في الكوفة كما ذكرنا وكذا استبدال والي المدينة الوليد بن عتبة بعمرو بن سعيد وضم ولاية مكة والمدينة تحت إمرته من أجل إحكام السيطرة وعدم تشتت القرار وإذا أمكن اغتيال الحسين عليه السلام في مكة فليكن!!

مسلم بن عقيل والعمل السري ثم الشهادة

بعد سلسلة التحولات التي حصلت اضطر مسلم بن عقيل لتغيير تكتيكاته، فلجأ إلى العمل السري، فانتقل إلى منزل هاني بن عروة، وأقام فيه بعد أن كان ظاهرًا بأنه في دار المختار، الذي انتقل لاحقًا، وبعد ذلك كشف الجواسيس مكانه، فقام ابن زياد باستدعاء هاني وتهمته الولاء للحسين وإيواء ابن عقيل في داره، تم تعذيبه وسجنه. حينها اضطر مسلم مرة أخرى للقيام للمواجهة، فاستدعى الأنصار الذين ظهروا فجأة معه، وكان ذلك في بداية ذي الحجة وأحاطوا بقصر الإمارة الذي يتحصن فيه ابن زياد. وسيطر مسلم على جامع الكوفة مجددًا، فعمل ابن زياد على الاتصال برؤساء العشائر وأغراهم بالمال والمناصب، كما هدّد أهل الكوفة بالجيش الكبير القادم من الشام، وراح أعوانه يخذّلون وهم مندسون في جيش مسلم ويخوفونهم، مما أدى بحسب المعطيات السابقة إلى أن يتفرق الناس عن مسلم، فبقي وحيدًا! حتى أنهى صلاة الفجر في الثامن من ذي الحجة في جامع الكوفة يتلفت يمينًا وشمالاً ولا أحد خلفه.

لجأ مسلم إلى منزل امرأة صالحة اسمها طوعة فآوته ذلك اليوم، ولكن ابنها وشى به فجاءت قوات ابن زياد بقيادة محمد

بـن الأشـعث وأحاطـت بالمنطقـة بغـرض اعتقاله، فخـرج لهم مسـلم وقاتلهم ببسـالة إلى أن أثخن بالجراحات، فأسـروه، وقام ابن زياد بقتله ثم قتل هاني بن عروة.

اسـتعاد الأمويين السـيطرة على الكوفة بعد استشهاد مسلم بـن عقيـل، وبـدأوا يحشـدون لقتـال الحسـين، وتـم اسـتدعاء الجيـوش مـن النواحي وإعـلان التعبئة العامة فـي الكوفة، ومن ضمن الجيوش جيش عمربن سعد الذي وعده أن يعطيه ولاية الـريّ، ولما تردد ابن سـعد في الذهاب لقتال الحسـين عليه السلام قال له ابن زياد: «نعم نعفيك على أن ترد إلينا عهدنا». عندئذٍ حسم بن سعد أمره وقرّر تنفيذ المهمة.

حج الحسين «البوصلة تشير إلى مكان آخر»

فـي تلـك الأثناء يدخل موسـم الحج ويجتمـع الحجيج في مكـة وقـد لبـس الحسـين إحرامـه على جـري العـادة السـنوية، ولكـن الحسـين يَعِدُّ لحـجّ من نوع آخـر وهو حج ضـروري لبقاء الحـج. إنه حـج الجهاد في سـبيل الله الـذي تقام بـه الفرائض، والـذي هـو باب من أبـواب الجنة فتحه الله لخاصـة أوليائه، فهو درع الله الحصينـة وجنتـه الوثيقة كما يقول أميـر المؤمنين عليه السلام. بدأ موسـم الحج وتأتي اللحظة الحاسـمة في الحج الأكبر وأداء الركن الأعظم منه وهو الوقوف بعرفة يوم التاسع من ذي الحجة،

وإذ بالحجيج في اليوم الثامن يتهيؤون لأداء ركن عرفة ويسمى يوم التروية حيث يتجهز الحجاج للذهاب لعرفة لأداء هذا المنسك العظيم. وفي هذا اليوم يُحرم الحجاج وفجأة يُصدم الجميع أن الحسين في هذا اليوم يحلُّ من إحرامه ويؤدي العمرة المفردة ويخطب في جموع المسلمين المجتمعين عند البيت الحرام معلنًا خروجه من مكة متوجهًا للعراق حيث الملحمة الكبرى للدين والمطلب إعادة الإسلام المحمدي الأصيل إلى ربيعه بعد أن ضيعه المسلمون، وقد وضع الحسين الأمة في تلك اللحظات وأراد إيصال رسالة مفادها أن في هذه اللحظات الإسلام يتعرض في وجوده للخطر فمن أراد بقاء الإسلام ليأتي معي حتى لو كان على حساب ترك أداء مناسك الحج، فهناك ضرورة وأهداف إذا لم تتحقق فلن يكون هناك إسلام ولا حج بعد اليوم، لقد شخّص الحسين المعصوم أولوية الجهاد اليوم على الحج.

وقف الحسين بين الركن والمقام خاطبًا في المسلمين مناديًا ببيان النصرة قائلاً: «خُطَّ اَلْمَوْتُ عَلَى وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ اَلْقِلاَدَةِ عَلَى جِيدِ اَلْفَتَاةِ وَ مَا أَوْلَهَنِي إِلَى أَسْلاَفِي اِشْتِيَاقَ يَعْقُوبَ إِلَى يُوسُفَ وَ خُيِّرَلِي مَصْرَعٌ أَنَا لاَقِيهِ كَأَنِّي بِأَوْصَالِي يَتَقَطَّعُهَا عَسَلاَنُ اَلْفَلَوَاتِ بَيْنَ اَلنَّوَاوِيسِ وَ كَرْبَلاَءَ فَيَمْلَأُنَ مِنِّي أَكْرَاشاً جُوفاً وَ أَجْرِبَةً سُغْباً لاَ مَحِيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلَمِ رِضَى اَللهِ رِضَانَا أَهْلَ اَلْبَيْتِ نَصْبِرُ

عَلَى بَلاَئِهِ وَ يُوَفِّينَا أُجُورَ اَلصَّابِرِينَ لَنْ تَشُذَّ عَنْ رَسُولِ اَللهِ لَحْمَتُهُ وَ هِيَ مَجْمُوعَةٌ لَهُ فِي حَظِيرَةِ اَلْقُدْسِ تَقَرُّ بِهِمْ عَيْنُهُ وَ تَنَجَّزُ لَهُمْ وَعْدُهُ مَنْ كَانَ فِينَا بَاذِلاً مُهْجَتَهُ مُوَطِّناً عَلَى لِقَاءِ اَللهِ نَفْسَهُ فَلْيَرْحَلْ مَعَنَا فَإِنِّي رَاحِلٌ مُصْبِحاً إِنْ شَاءَ اَللهُ»[1].

لقد كان هذا البيان البليغ جدًا في مضامينه والتي أكد فيها الإمام الحسين عليه السلام على العديد من النقاط الهامة، فيه رؤية واضحة للإمام لما ستؤول له الأمور، وببصيرة عالية يخاطب الجماهير بأن ما سنذهب إليه ليس نزهة ولم يُمنّ الحسين أحدًا بمكاسب دنيوية، بل هو الموت في سبيل الله ولكن من أجل أهداف عظمى وتأسيس قواعد جديدة للتعامل لم يألفها المسلمون في تلك المرحلة، حيث خضعت الأمة لحكم الظلمة ورضت بالظلم وكأنه قدره، فيأتي الحسين عليه السلام بلغة أعادت الحياة للإسلام، ومن تلك الأهداف التي انطلق لها الحسين في ثورته:

١. **شرعية الخروج على الحاكم الظالم:** في ظل الانحراف الكبير في الفهم الاعتقادي ومقاصد الشريعة بين المسلمين وتغيير النصوص المعصومة حتى صار يروج إلى أن الخروج على الحاكم الظالم الفاسق الفاجر

١- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، جزء ٣٣، صفحة ٣٦٣

أمرًا محرمًا شرعًا!! بل أصبح الخروج على الطاغوت اعتراضًا على أمر أراده الله وشاءته مشيئته وهذا ما كانت تتوق له العمالة الأموية، وأصبح إسلامهم يعطي الشرعية لهؤلاء الطواغيت وأن من يخرج عليهم فهو المستحق للقتل! فهذا الحسين يُقتل بشرعية، كقول شريح القاضي: «الحسين خرج عن جده فيقتل بسيف جده». اخترق الحسين هذا الجدار السميك عبر مواجهة الحكم الشرعي المنحرف بالحكم الشرعي الحق، فقد تقوّلوا على لسان رسول الله. ها هو الحسين يرد بما قاله فعلاً رسول الله، فتجد كلمات الحسين تتكرر فيها عبارة: «سمعتُ جدي رسول الله» فهل هناك من ينكر قول الرسول ﷺ وكأني به يقول إن مشروعية الخروج على الحاكم الظالم مصدرها رسول الله الذي من المفترض تؤمنون به وتلتزمون تعاليمه.

٢. **إرساء مبدأ مثلي لا يبايع مثله:** قالها الحسين هكذا ولم يقل الحسين لا يبايع يزيد، أي أنا لا أبايع هذا. الغرض من «مثلي» أن أينما وُجد عبر الزمان أناس مثل الحسين أو يقتدون بالحسين يعتبرونه إمامهم وينطلقون من نفس منطلقاتهم فإنهم لا يبايعون من هو مثل يزيد في كل زمان ولا يرضخون لهم حتى لو لم يكن في الأرض

ملجأ ولا مأوى، ففي مدرسة الحسين «الموت أولى من ركوب العار»، فإما العيش تحت راية الإسلام وإما الاستشهاد في سبيل الله، وهذا ليس تكليفًا خاصًا بالإمام الحسين عليه السلام، بل تكليف عام حتى ظهور الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف.

٣. **تكريس مفهوم لا حيادية في الصراع بين الحق والباطل:** يعتقد البعض وفقًا لقاعدة: «الجلوس على التل أسلم»، بأنه اتخذ حيلة شرعية تخرجه عن دائرة التكليف في الصراع بين الحق والباطل، بينما هذه الفكرة لا مدخلية شرعية لها لهذه القاعدة، بل السكوت يكون موازياً للفعل، فالساكت عن الحق خاذلاً للحق، كما قال أمير المؤمنين في معرض الحديث عمن لم يشاركوا في واقعة الجمل: «خذلوا الحقّ ولم ينصروا الباطل»[1].

إن سحب الذريعة من أصحاب المنطق التبريري يجعلهم ينحازون إلى أحد طرفي المواجهة، إما مع الحق وإما الباطل، إما حزب الله وإما حزب الشيطان.

فضح النظام الحاكم: الحسين بثورته فضح النظام الأموي وكشف مؤامراته على الأمة، فبني أمية الذين يدعون أنهم جزء

١- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، جزء ١٨، صفحة ١١٥

من الكيان الإسلامي وأنها الوريث الشرعي للحكم وامتداد لدولة الرسول صلى الله عليه وآله، وجمعوا الناس لحرب الحسين عليه السلام كونه خارجيًا، واحتفلوا بقتله. لاحقًا استلم الإمام السجاد والسيدة زينب مهمة استثمار تلك الشهادة المقدسة للإمام الحسين لفضح تلك المنظومة الإعلامية والسياسة الفاسدة للأمويين، وغيّروا المعادلة حتى تبرأ يزيد نفسه من تهمة قتل الحسين وألقى باللائمة على ابن زياد.

إن حالة التفسخ في القيم الأخلاقية والعقائدية والاجتماعية التي سادت المجتمع الإسلامي في ظل الدولة الأموية مما استدعى تدخل الحسين ودق ناقوس الخطر وبذل في هذا السبيل دمه الطاهر أيقظ الأمة من سباتها، وجعلها تعود إلى دينها، وما توالي الثورات بعد الحسين إلا دلالة على نهضة الأمة، فانتفاضة أهل المدينة وواقعة الحرة وثورة التوابين من بعدها إلا شاهد على ذلك.

خروج الحسين من مكة يوم عرفة ٩ ذي الحجة

في ظل تلك المعطيات والأهداف الكبرى التي توخاها الحسين عليه السلام جاءت اللحظة الحاسمة التي اتخذ فيها الحسين قراره للمواجهة، وإن كان هناك تفسيرات أخرى لاختيار الحسين عليه السلام هذا التوقيت الملفت في أعظم أيام

الحج حرمة من قبيل أن أتباع بني أمية أُوكلت لهم مهمة تعقّب الحسين وقتله ولو كان متعلقًا بأستار الكعبة في البيت الحرام وفي الشهر الحرام، وإن كانت للحسين مقولات في هذا الشأن، من قبل قوله: «إِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي: أَنَّ بِهَا كَبْشاً يَسْتَحِلُّ حُرْمَتَهَا! فَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ اَلْكَبْشَ!»[1] أو قوله عليه السلام: «لَأَنْ أُقْتَلَ وَ بَيْنِي وَبَيْنَ اَلْحَرَمِ بَاعٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُقْتَلَ وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ شِبْرٌ وَلَأَنْ أُقْتَلَ بِالطَّفِّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُقْتَلَ بِالْحَرَمِ»[2]، ولكن هذه المقولات تُحمل على أن الحسين يضع الاحتمالات أمام عينيه ولا يرغب بهذا الاحتمال ويتجنبه لحرمة البيت والشهر، وعدم رغبته أن يكون مصيره وسفك دمه في هذا الموضع، أما أن يكون ذلك سبب خروجه من مكة في هذا التوقيت فهذا مستبعد، لكون أن الحسين صار له في مكة أربعة أشهر ونصف تقريبًا، وأن استهدافه واحتمالية قتله قبل موسم الحج أكبر خصوصًا أن أخبار الحسين قد وصلت للشام واتخذ قرار مواجهة ثورة الحسين وأشاعه منذ مدة طويلة. كما أن احتشاد المسلمين في موسم الحج ومن كل مكان قد يسهل استهداف الحسين لكنه سيشكل استفزاز كبير للمسلمين قد يكون له عواقبه غير محسوبة على النظام الحاكم.

١- وقعة الطف، المجلد الأول، صفحة ١٥٢

٢- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، جزء ٤٥، صفحة ٨٥

لذا اختار الحسين هذا التوقيت عن اختيار وتخطيط مسبق وأن الإعلان الرسمي عن الثورة لكي يعلم العالم الإسلامي كله هو يوم الحج الأكبر. وقد أرسل خطابًا إلى أخيه محمد بن الحنفية يحدد له إطار ثورته ومنطلقها لأهدافها بكل وضوح بقوله: «أَنَّ اَلْحُسَيْنَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اَللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اَلْحَقِّ وَأَنَّ اَلْجَنَّةَ وَاَلنَّارَ حَقٌّ وَأَنَّ اَلسَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اَللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي اَلْقُبُورِ وَأَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً وَلاَ بَطِراً وَلاَ مُفْسِداً وَلاَ ظَالِماً وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ اَلْإِصْلاَحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي ﷺ أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ اَلْمُنْكَرِ وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ اَلْحَقِّ فَاللهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ»[1].

جاءت هذه الكلمات تعبيرًا عن المنطلقات التي انطلق منها في ثورته وما ذلك إلا تعزيزًا وتكميلاً لمسيرة الرسول ﷺ الذي يقول وينقل عنه الحسين عليه السلام نفسه: «مَنْ رَأَى سُلْطَاناً جَائِراً مُسْتَحِلاًّ لِحُرَمِ اَللهِ؛ نَاكِثاً لِعَهْدِ اَللهِ؛ مُخَالِفاً لِسُنَّةِ رَسُولِ اَللهِ؛ يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اَللهِ بِالْإِثْمِ وَاَلْعُدْوَانِ فَلَمْ يُغَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلاَ قَوْلٍ، كَانَ حَقّاً عَلَى اَللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مُدْخَلَهُ»[2].

يخرج الحسين من إحرام الحج ويدخل إلى حرم الشهادة

١- نفس المصدر، جزء ٤٤، صفحة ٣٢٤

٢- وقعة الطف، المجلد الأول، صفحة ١٧٢

عبر مسيرة الكرامة من مكة متوجهًا إلى العراق، ويستوقفه عبد الله بن جعفر وكان ضريرًا مودعًا وقد طلب منه التراجع عن هذه الخطوة، إلا أن الإمام أصرّ على الخروج فيستدعي عبد الله بن جعفر اثنين من أبنائه محمد وعون ويطلب منهم مرافقة خالهم الحسين في مسيرته، كما طلب منه عبد الله بن عباس الذهاب لليمن أو أي مكان آخر غير العراق فإن له شيعة هناك، إلا أن ذلك لم يُثنِ الحسين عليه السلام عن مسيره.

انطلق الحسين من مكة متوجهًا للكوفة وفي خط سيره توقف الحسين وركبه في كل حي للعرب، وكلما مر بقبيلة أو جماعة أو منزل من المنازل جمع إليه الأعراب ودعاهم لما كان يدعو إليه والتحق به من التحق على علم ودراية، فقد كان الحسين واضحًا ومبادرًا لهم.

خط سير ركب الحسين من مكة للكوفة

- **التنعيم:** خرج الحسين من مكة من جهة «التنعيم» وهو مَحرم أهل مكة ونواحيها حيث خرجت مجموعة من الفرسان المدججة بالسلاح تابعة للسلطة لاعتراض ركب الحسين ومنعه من الخروج من مكة بأمر من الوالي عمرو بن سعيد بن العاص وبالفعل حاولت تلك الفرقة منع الحسين فتقدم فرسان بني هاشم وعلى رأسهم أبو الفضل العباس بأمر الحسين، فما

رأت تلك الفرقة حدية الحسين وكادوا يلتحمون وتصطك السيوف، انسحبت تلك الفرقة، وواصل الإمام مسيره.

- **في طريق الجحفة:** مرّت على قافلة الحسين عليه السلام قافلة محملة بالمؤن والهدايا متوجهة لبلاد الشام، وتعود للطاغية يزيد، أمر الإمام بالسيطرة عليها وأخذها، وقد يتوهم البعض أن هذا الموقف حالة سطو وسرقة! لكن الأمر ليس ذلك، فغرض الإمام من ذلك إيصال رسالة واضحة ليزيد أن لا مشروعية لحكمك وأن أي شيء يعود ملكيته للحكم والدولة فهو حق للإمام الحق، فالحسين لم يعتد على أي قافلة أخرى غير قافلة يزيد! هذا من جانب، ومن جانب آخر الحسين عليه السلام دعا من يقود القافلة إلى الالتحاق به، وإذا رفضوا سرّحهم ووجههم للذهاب للشام وإخبار يزيد بما حصل، فلو كان هدفه السلب لقتلهم وتخلص منهم.

- هناك عشرون منزلاً نزلهم الحسين تتشابه الأحداث فيها مآثر بالاختصار حيث كان الحسين كلما مرّ بمنزل دعا القبائل والأفراد للالتحاق به وبيّن لهم أهداف حركته، وفي كل منزل كان يلتحق بركب الحسين الكثير من العرب، وقد تعذّر الكثير كذلك بأعذار واهية، فعلى سبيل المثال:

لما دعا الحسين عليه السلام عبيدالله بن الحر الجعفي للسير

معه، فردّ الجعفي بأن سيفه بألف وفرسه بألف وأما أنا فاعفني من القتال وخذ سيفي وفرسي، فماذا ردّ عليه الحسين عليه السلام؟: «لاَ حَاجَةَ لَنَا فِيكَ وَلاَ فِي فَرَسِكَ»[1]! إن الحسين كان يشتري الأنفس بأن لها الجنة. كان يريد أن يرفق في قافلة العشق التوّاقين للشهادة، أما أصحاب الدنيا فلا مقام لهم في تلك الرحلة، ومن تلك المنازل الأبطح حيث التقى فيها بيزيد بن سبيط البصري، وقد دعا عشرة من أبنائه للخروج مع الحسين عليه السلام وخرج مع الحسين اثنان منهم هم عبد الله وعبيد الله، ومن تلك المنازل كذلك وادي العقيق ووادي الصفراء والحاجر وخزيمة، وفي كل موضع ينزله الحسين كان يدعو من يلقاه للخروج معه حتى اجتمع معه الآلاف من العرب.

- جاءت بعض المنازل بعد ذلك وتحدث فيها أحداث مهمة سنأتي على ذكرها لارتباطها بأوضاع مفصلية اتصلت بالثورة، ومن تلك المنازل المهمة التي توقف فيها الحسين عليه السلام.

١. **الحاجر:** ولما وصل الإمام الحسين إلى «الحاجر» وهي منطقة خارج الحجاز وفي الطريق الموصل للعراق، بعث الحسين سفيره الثاني «قيس بن مسهر الصيداوي» بعد أن بعث سابقًا مسلم بن عقيل وعلى

١- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، جزء ٤٤، صفحة ٣١٠

إثره بعث بقيس الصيداوي بكتاب يخبر أهل الكوفة بقرب وصوله، وأنه في المسير إليهم ويبعثهم على الثبات، ونظرًا للطوق الأمني الضيق الذي فرضه عبيد الله بن زياد على محاور الوصول للعراق وقع قيس أسيرًا عند قائد الطوق الأمني في الصحراء الحصين بن نمير، ونُقل قيس أسيرًا إلى ابن زياد حيث طلب منه تسليم الكتاب فقيل: إنه مزقه، وقيل: إنه مزقه وابتلعه. وعلى أي حال في الأخير طلب منه ابن زياد إمعانًا في إذلاله أن يسب الحسين ويتبرأ منه، لكنه رضوان الله عليه بدلاً من ذلك قام بشتم ابن زياد ويزيد ودعا لنصرة الحسين، فقام ابن زياد بقتله.

٢. **خزيمة:** لما وصل الحسين إلى خزيمة لم تصله أخبار أهل الكوفة بعد، وقد وقع الانقلاب على مسلم لكن الأخبار لم ترد بعْد، بعدَ إرسال السفيرين، فعزز برسول ثالث ليتقصى أخبار الكوفة ومصير مسلم، فبعث بعبد الله بن يقطر إلى مسلم بن عقيل، ولم يكن مصير عبد الله بن يقطر مختلفًا عن مصير الرسول قيس بن مسهر.

٣. **زرود:** وفي هذا المنزل واكب ركب الحسين طريق سفر أحد أصحاب الرسول وهو زهير بن القين حيث قيل أنه

عثماني الهوى، وقد علم بعزم الحسين فكره الاتصال به، فوافق أن نزلا بنفس المنطقة، وهي «زرود»، فوضع زهير فسطاطه بعيدًا عن الحسين عليه السلام، ومع ذلك أرسل له الحسين برسول ليدعوه للقاء، فلما أتى الرسول إلى زهير انزعج، فكلمته حينها زوجته قائلة: أيدعوك ابن رسول الله وأنت تكره لقاءه، فاذهب وانظر ما يريد لعله خيرٌ لك. وبعد إصرارها عليه، توجه زهير نحو مخيم الحسين في زرود وهو كاره اللقاء، ولما التقيا استقبله الحسين عليه السلام بحفاوة وأسرّ له بأمر تذكره زهير! ولم يفصح لنا التاريخ عن ذلك الأمر الذي قاله الحسين عليه السلام لزهير، وعلى أي حال عاد زهير إلى زوجته، وقد تغيرت قناعاته بشكل كامل وأخبرها بأنه عازمٌ على إرجاعها إلى أهلها وأوصاها بوصاياه وتركها، والتحق بالحسين عليه السلام! عندها طلبت تلك المرأة الصالحة منه أن يسمح لها بأن تكون معه وتواسي أهل بيت النبوة وبنات رسول الله في هذه المسيرة.

٤. **الثعلبية:** لما نزل الحسين عليه السلام في هذا المنزل لقيه الفرزدق الشاعر وكان للتو خارجًا من العراق، فسأله عن أحوال أهل العراق، فقال له: قلوبهم معك وسيوفهم عليك!! عندها استرجع الحسين، ولكن الأخبار لم

تكـن واضحة بسـبب التعتيم الإعلامـي والطوق الأمني المفروض بيـن المناطق حال دون وصول أخبار دقيقة. رسـخ منها انقلاب أهل الكوفة على مسـلم ومقتل قيس بن مسـهر الصيداوي، ولم يتأكد بعد مصير مسلم، وفي هذا المنزل أخذت أعداد من التحق بالحسين يتقلص.

٥. **زبالة:** عندما وصل الحسـين عليه السلام إلـى منطقة زبالة على مشارف العراق، جاء من يخبره بمقتل مسلم بن عقيل، وهانـي بـن عـروة، وسـفيريه قيـس بـن مسـهر وابـن يقطر مع تأكيـد أن الكوفة أصبحت تحت سـيطرة الأمويين، عندها جمع الحسـين عليه السلام أهل بيته وأصحابه وأخبرهم بمـا حـدث، ومنهـا: خـذلان أهـل الكوفـة وتسـلط ابـن زيـاد عليهـا، حتـى أخبرهـم بقولـه: «فَمَـنْ أَحَـبَّ مِنْكُمُ اَلاِنْصِـرَافَ فَلْيَنْصَـرِفْ، لَيْـسَ عَلَيْهِ مِنَّا ذِمَـامٌ»[1]، فتفـرق معظم من كان مع الحسين ممن جاؤوا معه من الأعراب، ولم تبق معه إلا الصفوة من الرجال إضافة لأهل بيته من النسـاء والأطفـال والشـباب. وهنا كانت نقطـة التحول الخطيـرة، فبعـد وضـوح الصـورة كان بإمكان الحسـين العـودة أدراجـه إلـى مكـة أو المدينـة أو أي مـكان آخـر

١- وقعة الطف، المجلد الأول، صفحة ١٦٦

آمـن له ولأهـل بيته إلا أنه مع تلـك التداعيات الخطيرة واصل طريقه مسـتبصرًا بالهدى الذي هو عليه ولم يكن يعـوّل على نصرة أحد غيـر الله؛ لأن الغاية أكثر بكثير من بـذل الأنفس مـن أجلهـا، ومن هنـا يتبين سـمو وعظمة الحسين وحركته المباركة.

٦. **شـراف:** دفع ابن زيـاد بالحر بن يزيـد الرياحي على رأس ألـف مـن الجنود بـأن يخرجوا على الطريـق الصحراوي في خط مسـير الحسـين لقطـع الطريق عليـه ومنعه من الوصـول إلـى الكوفة من جهة وحصره فـي منطقة ومنعه مـن العـودة إلـى المدينـة أو أي مـكان حتـى ينـزل على بيعـة يزيد بـن معاوية وإمـا القتال، وكان الأمـر للحر بأن يجعجع مركب الحسين حتى يوصله محصورًا في موقع لا ماء فيه ولا تجمعات سكنية ومع وصول الحسين إلى منطقة شراف التقى الحر بن يزيد الرياحي، وعندما علم الحسـين بقدوم عسـكر ابن زياد توجه الحسـين عليه السلام مع أصحابه إلى موقع آخر بالقرب من شراف ونزل به.

٧. **ذو حسـم:** نـزل الحسـين عنـد جبـل ذي حسـم عندمـا انحـرف مركبه كـي لا يلتقي مع عسـكر الحر وليتحصن بـه، كان الوقـت ظهـرًا والحر شـديد والشـمس مشـتعلة

وجنود الحر متعبون ومرهقون من شدة الحر والظمأ وخيولهم منهكة من المسير، وكان هذه المرة عند جبل ذي حسم الماء عند الحسين عليه السلام، فطلبوه فأمر الحسين عليه السلام أن يُسقى للرجال وترشف خيولهم، وكانت هذه اللفتة الكريمة من الحسين لها وقعها في نفس الحر وأثرت في وجدانه، إلا أنها لم تثنيه عن تنفيذ مهمته العسكرية.

٨. **عذيب الهجانات:** أصرّ الحسين على التوجه نحو الكوفة رغم علمه بما جرى على مسلم بن عقيل، وانقلاب أهل الكوفة والقبضة الأمنية هناك على الشيعة إلا أن الإمام أصرّ على التقدم. بعد كلام له مع الحر الذي فاوض الإمام على قاعدة البيعة ليزيد وقبول الاستسلام، وإما الاعتقال لينظر ابن زياد في أمره وإقامة للمحاججة وإثباتًا للحجة، قال الحسين للحر: إذا لم تقبلوا بذهابي للكوفة فليفتح الطريق للعودة إلى المدينة. إلا أن الحر أكد على أوامر عبيد الله بن زياد، وقد سار الحر موازيًا لطريق الحسين كلما توجه ناحية الكوفة حرف مسيره باتجاه صحراء القادسية، ونزل الحسين هذا المنزل في طريق كربلاء، ولما همّ بالمسير وهو على فرسه غفى الحسين إغفاءة واسترجع فانتبه

لـه ابنـه علـي بن الحسـين وقال لـه: «مِـمَّ حَمِـدْتَ اَللهَ وَ اِسْتَرْجَعْتَ؟ فأجاب الحسين: يَا بُنَيَّ إِنِّي خَفَقْتُ خَفْقَةً فَعَـنَّ لِي فَـارِسٌ عَلَى فَرَسٍ وَهُـوَ يَقُولُ اَلْقَوْمُ يَسِـيرُونَ وَاَلْمَنَايَـا تَسِـيرُ إِلَيْهِـمْ، فردّ علي بن الحسـين الأكبر متسـائلاً: يَا أَبَـتِ لاَ أَرَاكَ اَللهُ سُـوءاً أَلَسْـنَا عَلَـى اَلْحَـقّ؟ قال الإمام الحسـين عليه السلام: بَلَـى وَاَللهِ اَلَّـذِي مَرْجِعُ اَلْعِبَـادِ إِلَيْهِ. فكان جـواب الجندي الممتثل لأمر قيادته الربانية، وصاحب اليقيـن الصـادق والنفـس المطمئنـة قائـلاً: فَإِنَّنَـا إِذاً مَا نُبَالِي أَنْ نَمُوتَ مُحِقِّينَ»[1].

٩. **نينوى:** واصل الحسين مسيرته العظيمة حيث تم إبعاده عـن طريـق الكوفـة ونـزل أرض العـراق فـي مناطـق غيـر مأهولـة، وفي هذا الموقع جاء كتاب ابن زياد للحر بأمره ألا ينـزل الحسـين إلا فـي العـراء في مكان غيـر محصّن وليـس فيه ماء. حينها قال عليه السلام: «أَرْجُـو أن يكونَ خيراً ما أراد اللهُ بنا»[2].

نزوله عليه السلام إلى كربلاء

وصـل الحسـين إلى موقـع اعترضـه الجيـش الأمـوي القادم

١- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، جزء ٤٤، صفحة ٣٦٣

٢- أعيان الشيعة، جزء ١، صفحة ٥٩٧

مـن الكوفة ومن خلفه كانت فرقة الحر الرياحي، وكان ابن سـعد علـى رأس الجيـش القادم مـن الكوفة والذي كانـت تتوالى فرقة فـي المجـن، حيث اللقاء في هذه النقطـة المفتوحة في العراء، «فَلَمَّـا وَصَلَهَـا قَـالَ مَا اسْـمُ هَـذِهِ الْأَرْضِ؟ فَقِيـلَ: كَرْبَـلَاءُ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَرْبِ وَالْبَلَاءِ. ثُمَّ قَالَ: هَذَا مَوْضِعُ كَرْبٍ وَبَلَاءٍ انْزِلُوا هَاهُنَا مَحَطُّ رِحَالِنَا وَمَسْـفَكُ دِمَائِنَا وَهُنَا مَحَلُّ قُبُورِنَا بِهَذَا حَدَّثَنِي جَدِّي رَسُولُ الله»[1]. نزل الركب الحسيني في كربلاء يوم الخميس في الثاني من المحرم سنة ٦١ هـ. وأخذت جيوش بني أمية تحتشـد وتطوق المنطقة التي نزل بها الحسـين بقيادة عمـر بـن سـعد بـن أبـي وقـاص ووصـل مجمـوع الجيـش الذي سيقاتل الحسين عليه السلام ثلاثين ألفًا.

المفاوضات الأخيرة

دخل الحسـين في حوار مطوّل مع عمر بن سـعد لعدة مرات بشكل مكثف، وكان الاقتراح الأولي ووافق عليه ابن سعد ابتداءً برفع الحصار عن الحسين عليه السلام في مقابل فتح الطريق له للعودة إلى المدينة. أرسـل ابن سـعد المقترح إلى عبيد الله بن زياد في الكوفـة، فاستشـار معاونيـه وقد أشـار عليه الحاقد شـمر بن ذي الجوشـن برفـض المقتـرح، وإرغـام الحسـين عليه السلام علـى البيعـة

١- اللهوف في قتلى الطفوف، السيد بن طاووس، صفحة ١٣٣-١٣٤

ليزيد وإن رفض فالقتال حتى يُقتل.

النفس السائد لدى السلطة الأموية هو مواجهة الحسين بأي ثمن وإذلاله عبر إرغامه على الانصياع لخلافة يزيد، وافق ابن زياد على مقترح الشمر، وحمّله رسالة إلى ابن سعد قائد الجيش يقرر فيه بأن يأمر الحسين بالبيعة أو قتله، واستفزازًا لابن سعد تضمن الأمر وجوب التنفيذ أو أن تعتزل إمرة الجيش وتسليم قيادته للشمر.

حمل الشمر الرسالة لابن سعد، فقرر هذا أن يقود المعركة محرك الجيش في يوم الثلاثاء السابع من المحرم، لتضييق الخناق على معسكر الحسين ومنع وصول الماء له من ناحية نهر الفرات وتم نشر كتائب بقيادة عبد الرحمن بن الحجاج، وظيفته منع الحسين وأصحابه من الوصول إلى الماء، للضغط على الحسين وإرغامه على النزول على بيعة يزيد.

هيهات منا الذلة

لم يبق مع الحسين حين وصوله كربلاء سوى تلك الصفوة الخالصة الصافية من هذه الأمة وعددها اثنان وسبعون رجلاً إضافة إلى أهل بيته والنساء والأطفال. ضاق الخناق والمفاوضات ووصلت لطريق مسدود، المطلوب أن يتسلم

الحسين أو أن يقاتل حتى الموت، فماذا كان جوابه عليه السلام؟: «إِنَّ اَلدَّعِيَّ اِبْنَ اَلدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَبَيْنَ اِثْنَتَيْنِ بَيْنَ اَلسَّلَّةِ وَاَلذِّلَّةِ وَهَيْهَاتَ مِنَّا اَلذِّلَّةُ»[1]. أي: أن ابن زياد جعلنا بين خيارين إما الحرب وإما الاستسلام، ويستحيل على صاحب النعمة الربانية والأمانة الإلهية أن يذل نفسه فهوإذلال لدينه وخيانة للأمانة الإلهية والعهد الرباني. بل وأكثر من هذا إن الحسين لا يخشى الموت، بل يراه سعادة وفوزًا في سبيل الله بينما العيش في كنف الشيطان وحزبه ذلك هوالخسران المبين. «إِنِّي لاَ أَرَى اَلْمَوْتَ إِلاَّ سَعَادَةً وَاَلْحَيَاةَ مَعَ اَلظَّالِمِينَ إِلاَّ بَرَماً»[2].

بدأ الزحف نحو مخيم الحسين عليه السلام عصر يوم الخميس التاسع من المحرم، وكانت العمليات العسكرية الأخيرة التي تسبق المعركة الكبرى لتأكيد إصرار العدو على موقفه وإخضاع إرادة الحسين وكسر عزيمته عندما يرى الجيش الزاحف وهو يرفع كفه للسماء، الحسين لا يرى إلا الله، وهو يقول:

«اَللَّهُمَّ أَنْتَ ثِقَتِي فِي كُلِّ كَرْبٍ، وَرَجَائِي فِي كُلِّ شِدَّةٍ، وَأَنْتَ لِي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةٌ وَعُدَّةٌ، كَمْ مِنْ هَمٍّ يَضْعُفُ فِيهِ اَلْفُؤَادُ وَتَقِلُّ فِيهِ اَلْحِيلَةُ، وَيَخْذُلُ فِيهِ اَلصَّدِيقُ وَيَشْمَتُ فِيهِ اَلْعَدُوُّ،

١- اللهوف في قتلى الطفوف، السيد بن طاووس، جزء ١، صفحة ٩٥
٢- مثير الأحزان، المجلد الأول، صفحة ٤٤

أَنْزَلْتُـهُ بِـكَ وَشَـكَوْتُهُ إِلَيْـكَ، رَغْبَـةً مِنِّـي عَمَّـنْ سِـوَاكَ، فَفَرَّجْتَـهُ وَكَشَفْتَهُ، فَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَصَاحِبُ كُلِّ حَسَنَةٍ وَمُنْتَهَى كُلِّ رَغْبَـةٍ»[1]. إنـه الحسـين الذي حدّد هدفـه بوضوح ولـم يتغير الأمر لديـه بـأن يكون عنـده أنصار أم لا، فهـو عندما نـزل أرض كربلاء وجـه صرختـه المدويـة قائـلاً: «قَدْ نَزَلَ مِنَ اَلْأَمْرِ مَا قَدْ تَـرَوْنَ وَإِنَّ اَلدُّنْيَـا تَغَيَّـرَتْ وَتَنَكَّـرَتْ وَأَدْبَـرَ مَعْرُوفُهَا وَلَـمْ يَبْقَ مِنْهَـا إِلاَّ صُبَابَةٌ كَصُبَابَـةِ اَلْإِنَـاءِ وَخَسِـيسُ عَيْـشٍ كَالْمَرْعَـى اَلْوَبِيـلِ أَلاَ تَرَوْنَ إِلَى اَلْحَـقِّ لاَ يُعْمَـلُ بِهِ وَإِلَى اَلْبَاطِـلِ لاَ يُتَنَاهَى عَنْـهُ لِيَرْغَبِ اَلْمُؤْمِنُ فِـي لِقَاءِ رَبِّهِ حَقّاً»[2] فلا خير في حياة في ظل الباطل، والخير كله في طلب الحق والتضحية من أجله.

رحلة العشق الإلهي

لقـد وصل الحسـين إلى المحطـة الأخيرة فـي رحلته ليعرج مـن هـذه المحطـة إلـى المعشـوق. حتى فـي عصر التاسـع من المحرم لما زحفت جحافل العدوان نحو مخيم الحسين، أرسل الحسـين أخـاه أبـا الفضل العبـاس يطلـب المهلة هـذه الليلة. إنها ليلة الجمعة التي يعشـقها الحسـين؛ لأنها سـاعات الوصل بالحبيـب، فقـال لأبـي الفضـل «ادعهـم ليمهلونـا هـذه الليلـة

١- وقعة الطف، المجلد الأول، صفحة ٢٠٥

٢- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، جزء ٤٤، صفحة ٣٦٣

لنصلي إلى ربنا ركعات». أراد الحسين عليه السلام أن تكون هذه الليلة ليلة عبادة ووداع ووصية، وبدأت تلك الثلة المؤمنة يصلون ويقرؤون القرآن ويدعون، فكان لهم دوي كدوي النحل.

إنه ميلاد الثورة ستبزغ شمسها، وسيخرج الذين كُتب عليهم القتل أن يبرزوا إلى مضاجعهم وسيعلم الذين ظلموا لمن النصر يومئذ.

إنها رحلة العشق الإلهي، والتي انعكس ظلها في حب الحسين فكان تجسيدًا لذلك الجمال والجلال، فهو الحسين الذي ذاب في الحب حتى قال: «خذ حتى ترضى»، وتلك زينب التي رأت رأس الحسين فقالت: «ما رأيتُ إلا جميلًا»، وذاك الفتى القاسم قمة الوعي فيقول: «الموتُ فيك يا عم أحلى من العسل»، وذلك الشيخ الكبير يُريه الحسين موضعه في الجنة، ولكنه يسأل الحسين غير مبالٍ بما رأى فهو ذاهل فيه مما سواه «هل أنا معك في الجنة يا أبا عبد الله»، ويأتي دور عابس في وسط المعركة وهو يقول: «حب الحسين أجنني».

صدر لدار الوفاء للثقافة والإعلام

سلسلة رجالٌ صدقوا:

١- هكذا عرفوه، الشهيد رضا الغسرة

٢- المؤمن الممهد، الشهيد علي المؤمن

٣- فخر الشهداء، الشهيد عبدالكريم فخراوي

٤- الخارجون من الماء، رواية المحرر من السجون الخليفية محمد طوق، كمال السيّد

سلسلة نهج الولاية:

١- العمل المؤسساتي في فكر الإمام الخامنئي

٢- الاستغفار والتوبة، الإمام الخامنئي

٣- التحليل السياسي في فكر الإمام الخامنئي

٤- العبد الصالح، رواية الإمام الخامنئي عن الإمام الخميني

٥- سيد شهداء محور المقاومة، الشهيد القائد قاسم سليماني

سلسلة من داخل السجن:

١- التغييرفي سبيل الله، الشيخ زهيرعاشور

٢- تأملات في الفكرالسياسي، الشيخ زهيرعاشور

٣- الإسلام والعلمانية، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

٤- الرحيل نحوالأبدية، الساعات الأخيرة للشهيد علي العرب قبل إعدامه، كمال السيّد

٥- يسألونك عن عاشوراء، محمد فخراوي

٦- رسول الرحمة، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

٧- على ضفاف الحسين، الأستاذ محمد سرحان (هذا الكتاب)

سلسلة تاريخ البحرين:

١- شهادة وطن، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم

٢- آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود

٣- الإبادة الثقافية في البحرين

٤- تيار الوفاء الإسلامي، المنهج الرؤية الطموح

كتب أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين:

١- رسول الرحمة

٢- الإسلام والعلمانية

٣- الجمري في كلمات أمينه وخليله

٤- القدس صرخة حق

٥- إضاءات على درب سيد الشهداء عليه السلام

٦- قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين عليه السلام

٧- الدولة والحكومة

٨- الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الثاني

٩- الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الأول

١٠- في رحاب أهل البيت عليهم السلام

١١- الشهادة رحلة العشق الإلهي

كتب أخرى:

١- قافلة الخلود - شهداء البحرين

٢- عاشوراء البحرين ٢٠١٩

٣- كتيّب المقاوم العارف، الشهيد المقاوم أحمد الملالي

٤- عاشوراء البحرين ٢٠١٨

٥- حصاد البحرين ٢٠١٧

٦- عاشوراء البحرين ٢٠١٧

٧- في رحاب مدرسة الإمام الخميني قدس سره

٨- المهدوية في الفكر الولائي

٩- الحصاد السياسي ٢٠١٦

١٠- ألم وأمل، السيد مرتضى السندي

كتب باللغة الفارسية:

١- تغيير در راه خدا (التغيير في سبيل الله)، الشيخ زهير عاشور

٢- بازخوانى خطبه هاى امام حسين (قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين)، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

٣- برآستان اهل بيت (في رحاب أهل البيت)، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

٤- رنج و اميد (ألم وأمل)، السيد مرتضى السندي

٥- گواه ميهن (شهادة وطن)، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم

٦-تاريخ سياه آل خليفة (آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود)

بصيرة الحسين كانت ترى شيئًا آخر لا يراه بقية الناس حتى المقربين منهم وهو (ع) يؤسس لوضع جديد وقواعد للتعامل مع الحكم الظالم المستبد بوجوب الثورة، وأعطى لهذه الثورة شرعية باقية ما بقي الظلم والجور، وأن الخطر الأكبر هو قبول ذلك الظلم والتبرير له.

دار الوفاء للثقافة والإعلام